روايات 



الإنسان الجديد

COMMAND THE MORNING

٥٠ مليما

روايات عالمية

العدد رقم ٣٤٣

الإنسان الجديد

تأليف بيرل باك
ترجمة بهجت عبد الفتاح

كان ذلك فى عام ١٩٤٠ وكانت انجلترا قد اعلنت الحرب على المانيا فى سبتمبر عام ١٩٣٩ ، ولكن امريكا كانت مازال فى مأمن من كل خطـر .

كان بيرتون هول يقول فيما بينه وبين نفسه : اننا مازلنا فى مأمن ، وكان الوقت ربيعا حتى فى كاليفورنيا ، حيث كانت بوادر الخضرة الجديدة ، وبراعم الازهار اقل وضوحا منها فى حديقتـه الصغيرة فى ضواحى شيكاغو التى تركها منذ يومين ليأتى الى هنا بالطائرة . وكان ركوبه للطائرة دائما ما يسبب جدلا بينه وبين زوجته مولى ، فكانت تزمجر وهى تقول له :

ـ اذا كنت مصمما على أن تموت ، فكم أود أن تختار طريقـة للموت لا تتركك اربا . انى اريد ان أجد شيئا اواريه التراب ، واقوم بزيارته بين الحين والآخر .

وكان بيرتون يبتسم فى غيظ وهو يقول لها :

ـ شيئا تزورينه ؟ انك لم تشاهدى بعد نصف ماسوف افعله اذا دخلنا هذه الحـرب .

ثم طبع على خدها الممتلىء قبلة ، واستدار ذاهبا الى المطـار فى عربته القديمة .

وبعد ثمان واربعين ساعة كان يتناول عشاءه فى نادى الكلية فى بيركلى مع وليم طومبسون ، أحد زملائه العلمـاء وبدأ حديثه معـه قائلا :

ـ لقد ابلغت زوجتى مولى ـ منذ ثلاثة شهور ـ باننا قد ندخل

هذه الحرب فى شهر ابريل الماضى ، وانى أشكر الله انى كنت مخطئا وآمل ان اشكره دائما عندما اقع فى مثل هذا الخطأ .

وعبر المائدة التى كانا يجلسان اليها ، كانت شمس الظهيرة تسطع من خلال اذنى طومبسون ، الرفيعتين الكبيرتين ، حتى انهما بدتا مثل فراشات قرمزية اللون على جانبى وجهه الشاحب الصغير .

وساله بيرتون هول :

ـ ألم تر فى حياتك فراشات قرمزية اللون ؟

وتطلع اليه طومبسون مندهشا ، وقال :

ـ اتقول فراشات ؟

فقال بيرتون هول :

ـ وقرمزية اللون أيضا .

واخذ طومبسون يفكر فى الامر باهتمام ، بينما كانت السكين والشوكة ترقدان فوق قطعة اللحم المقطعة . وقال :

ـ لم ارها ابدا قرمزية اللون .

فقال بيرتون هول فجاة :

ـ وانا كذلك لم ارها قرمزية اللون ..

ثم اخذ يقطع بسكينه قطعة سميكة من اللحم المحمر ، وقال :

ـ لنعد الى ماكنا نتحدث عنه ..

كانا يتحدثان عن الحرب التى يستعر اوارها فى اوروبا وآسيا وكانا يتحدثان ايضا عن زملائهما من العلماء الذين يهربون من المانيا وبولندا ، والنمسا ، والمجر ، ليلجاوا الى فرنسا فى بادىء الامر وبعد ذلك الى انجلترا ، والآن يتدفقون الى الولايات المتحدة حاملين معهم قصصهم المخيفة الرهيبة .

وتساءل طومبسون . وكان قد فرغ من التهام آخر قطعة من اللحم فى طبقه ، ووضع الشوكة والسكين جنبا الى جنب :

ـ هل تعتقد اننا نستطيع أن نكون بمناى من هذه الحرب ؟

فقال بيرلون هــول :

ـ اننا لانستطيع ان نتجنبها .

فرد عليه طومبسون قائلا :

ـ اجــــل .

ولم يكشف صوته المضطرب عن اى اهتمام غير الضيق . ثم واصل كلامه بنفس الطريقة قائلا :

« ان النازيين يعملون حاليا فى الطاقة الذرية ، ولديهم نظرية فصل اليورانيوم ٢٣٥ . وقد يعني هذا انهم ينوون عمل قنبلة ذرية ، بالرغم من ان فيرمى لا يعتقد انهم يستطيعون ذلك » .

فقـــال بيرلون هـــول :

ـ انهـا اوهام فيرمى .

فرد عليـه طومبســـون قائلا :

ـ كيف تستهين بمثل هذه الاستعدادات ؟ .

فاجابه بيرلون هـــول :

ـ لاننى واقعى .

لم يكن طومبسون قد جاء الى هذا المكان ليتحدث عن الأسلحة وكان يعرف أنه يكذب على نفسه . لقد جاء الى هنا وهو يشعر بشيء من الخوف لأنه عالم كبير ، فقــد قام بعمل « سيكلوترون » تستطيع اشعاعاته ان تحطم الذرة . وكانت الذرة اهم شيء فى العالم فى ذلك الوقت ، وهى جزء لا تستطيع عين الانسان أن تراه الا كنقطة باهتة على شاشة سينمائية . واتكأ بيرلون هول واقترب بوجهه الى عينى طومبسون المندهشتين ، وقال له :

ـ هل انت مستعد لان تقضى معى العام القادم للقيـــام بهذا العمـــــل .

فاجاب طومبسون :

ـ اذا اضطررت الى ذلك ، بالرغم من اننى اود ان انهى تجاربى

وأصل الى بعض النتائج ، من أجل المؤتمر الدولى الكبير الذى سيعقد فى الخريف القادم .

فقال بيرتون هول :

ـ ان هناك اشياء كثيرة نود أن نقوم بها والتى لايبدو انها ستتم الآن على الاقل . انني اجمع العلماء ، واحسن العلماء بالطبع ، من كل ركن من المصانع والجامعات . والرجل الذى اعول عليه كثيرا بعدك هو ستيفن كوست ، اتعرفه ؟ فتساءل طومبسون فى حذر:

ـ هو شاب ؟ اليس كذلك ؟.

فأجابه بيرتون هول :

ـ انه شاب وجرىء ولهذه المهمة يجب أن يكون هؤلاء العلماء من الشباب .

وصمت طومبسون ، واخذ يعد مامعه من نقود . وكان بيرتون هول ينتظر ، ويجول بعينيه الخضراوين فى القاعة المزدحمة . كان كل من فى هذه القاعة ياكل ويشرب ، وكل منهم يرتاح الى مكانه الصغير فى الجامعة ، دون ان يفكر فيما يطويه المستقبل . وسوف يطلب ستيفن كوست اليوم . وبعد ذلك يشغل نفسه بما جاء من اجله . لقد جاء الى كاليفورنيا ليذهب الى جبل بعيد يرقد فوق قمته تليسكوب كبير وهناك سوف يتطلع الى النجوم البعيدة ، والمجرات التى تبعد عن المكان الذى يقف فيه بنحو خمسين الف عام وكما يتجه بعض الناس الى الله يستلهمونه القدرة على البقاء فى أوقات الشدة والخوف كما يتجه آخرون الى الشراب هروبا من مخاوفهم ، اتجه هو الى النجوم والفضاء الواسع العريض .

وتنبه فجاة الى وجود طومبسون وقال :

ـ هل استطيع ان اعتمد عليك يا تومى ؟ .

ـ اذا وقع اسوا مايمكن ان يحدث يابيرت .

ـ سوف يحدث . انى خائف .

ـ آمل الا يحدث .

وصافح كلٌ منهما الآخر . وركب بيرتون هول سيارته لا ويمم وجهه تجاه سلسلة من الجبال فيما وراء الأفق .

كانت ليلة صافية ، صعد بيرتون هول بسيارته الى الطريق الوعر فى شيء من اليسر ، واخذ يدور بها حول الجبل حتى وصل الى قمته . وفى ضوء القمر الخافت رأى القبة الفضية الهائلة ، اكبر تليسكوب فى العالم ، والذى استغرق بناؤه عشر سنوات وجهود مئات من الرجال الذين مات عدد منهم اثناء العمل . وامضى فى صمت تام ما يقرب من ثلاث ساعات تحت القبة الفضية العالية . وخرج كما كان يخرج من قبل ، رجلا متواضعا يحمل فى رأسه افكارا كثيرة . لقد كان كل مايشغل باله ان يعرف كيف تولد النجوم ، وكيف تكبر ، وكم من الزمن تبقى فى الفضاء الذى يحيط بها . . ويسأل نفسه :

ـ لماذا لم اتمسك بهذا الامل ؟ ولماذا شغلت نفسى بالاشعة الكونية وبنواة الذرة ، وهى شيء صغير جدا ، لا استطيع ابدا ان آمل فى ان اراه . ان الارض رائعة الجمال ، ولكن لماذا لا تشبع روح الانسان القلقة ؟ لم لماذا هو يمضى ايضا يحاول ان يعرف ما وراء ذلك ، وهذه معرفة لانهاية لها ؟ انه الجوع والعطش الى المعرفة .

كان يقود سيارته فى الطريق الضيق الملتوى فى تهور لاشعورى وانما كان يفكر فى السر وراء ذلك كله . انه لا مفر من المحاولة ان الانسان عندما يتوقف من طلب المعرفة يعود الى عصور الوحشية تماما التطلع الى النجوم او العودة الى الادغال . . وفجأة تذكر انه نسى ان يطلب ستيفن كوست .

كانت اشعاعات الشمس الغاربة تزحف على ارضية الحجرة وكان ستيفن كوست يتنهد . كان النهار على وشك ان ينتهى . وكان وحده فى الشقة . فقد كانت زوجته هيلين فى حفلة فى الشقة المجاورة . كان البيت هادئا . ومرت الساعات كدقائق وهو يجلس فى معمله . وفجأة ينظر الى الساعة فيجدها السادسة باللسماء!!

لقد أوصته زوجته ان يشعل الفرن فى الساعة الخامسة حتى يكون الطعام معدا فى السابعة . فاسرع وغسل يديه ، وقفز درجات السلم الضيقة الى المطبخ . وفى نفس الوقت كانت زوجته عائدة من الباب الخلفى ، فتوقف وهو يشعر بالذنب ، اما زوجته فضحكت وقالت :

ــ لقد نسيت ان تشعل الفرن على الطعام .

ــ كيف عرفت ذلك ؟.

ــ ان وجهك دائما يقول لى كل شىء .

وقبلته قبلة قصيرة ، واشعلت الفرن . فقال ستيفن :

ــ انى آسف ياهيلين .

فقالت زوجته وهى تخلع قبعتها ، وتفرد شعرها الاسود المجعد .

ــ سوف نتناول عشاءنا بعد الوقت المحدد له بساعة . ولكن ماذا كنت تفعل ؟ بين كتبك بالطبع ؟ .

كان ستيفن كوست طيلة السنوات الخمس السابقة يقيس الاشعة الكونية ، هذه الاشعاعات من الحرارة التى تخترق أجواء الكرة الارضية . لطالما صعد جبال الهيملايا ليقف مرتعشا بل يكاد يتجمد من البرودة بين الثلوج ، وطالما هبط الى اعماق المناجم الساخنة فى مناطق الفحم فى ويلز ليكشف من تسلل هذه الاشعة ومن هذه الكشوف جميعا سوف يضع كتابا . وقد اتفق مع زوجته على ان يتحول هذا الكتاب الى تلك المادة النفيسة ، المال ، وذلك لبناء البيت الذى تريده هيلين . وقد وعدها زوجها بان يفعل ، وانه لن يستخدم مزيدا من الاموال للانفاق على رحلات أخرى ، وكان يريد أن تكون رحلته الثالية خط الاستواء حتى يكتشف ماذا يعنيه انبعاج الكرة الارضية هناك . ولكن البيت قبل كل شىء .

ورفع غطاء قدر من الخزف الأزرق يحتوى على كعك . ولكن هيلين خطفت الغطاء منه ووضعته مكانه . وقالت :

ــ هذا خداع .. لأنك نسيت أن تفتح الفرن على الطعام .

وضحك لها كما كان يفعل دائما في المسائل البسيطة كلها .
وفجأة قالت هيلين :
ـ انك لم تعمل حتى في معادلات الاشعاعات الكونية .
فقال في الم :
ـ هل وجهي ينبىء عن ذلك ايضا ؟ .
فسألته :
ـ اذن ماذا فعلت ؟ . فاعترف لها بقوله :
ـ كنت اعد طعام الكلب . فقالت :
فقالت :
ـ كل فترة ما بعد الظهر من اجل الكلب . لقد وعدتني ان تبدأ كتابك اليوم .
فقال :
انني شخص لا يعتمد عليه كلية .
فرمقته بنظرة فاحصة ! بعينيها الورقاوين جدا . وقالت :
الا تريد أن تتغير ؟ ففكر قليلا ثم اردف :
لا . . اعتقد . . انني لن افعل ـ ليس لدى وقت لذلك .
واطلقت ضحكتها الناصعة المفاجئة وجرت اليه واحتضنته بعنف وقالت :
انك امين مخلص بشكل يستحق الاعجاب .
وتحمل هذا العناق بصبر وبعد أن واجه نظراتها التي تؤنبه انحنى قليـــلا ليقبلها على خدها ولكن في هدوء ورقة حتى انها تشبثت بكتفيه وهزته بقدر ما اتاحت لها قوتها فقد كان رجـلا ضخما بالرغم من انه نحيف ، وكانت هي امرأة رقيقة صغيرة الحجم ثم قالت في عنف :
ـ اتدرى كم من الأيام انقضى منذ أن اجتمعنا آخر مرة ؟ .
فقال لها على الفور :
ـ « منذ اسبوع » .
ورفعت اليـــه حاجبين سوداوين ، وزمت فمهـــا الوردى ثم

استطردت « منذ اسبوعين .. لو لم اكن اكثر النساء صبراً واحتمالا في هذا العـالم ، ومتزوجة باكثر العلمـاء جمـوداً وبرود عاطفة لكنت ...

واستطاع ان يستشف انهـا قد سكتت قليـلا لتستمع الى سؤاله :

ـ ماذا كنت ستفعلين ؟ .

فاجابت بسرعة :

ـ كنت هربت .. وهربت بعيدا .. حتى اذا كان الليل شديد البرودة .

فقال :

ـ كنت اضيع وقتي بشكل كبير لو جريت بحثا عنك . ولكني اعتقد انني كنت سافعلى لذلك .

واخفت وجهها في صدره وقالت :

ـ كنت ستأتي ان لم تفعل ..

واعرب عن موافقته على هذا القول واردف :

ـ كنت ستاتين . وبكل تأكيد انك لاتستطيعين ان تتحملي ، الا تعرفين ماذا افعل بدونك .. كنت ستخشين ان امضى على خير ما يـرام .

وضحكت مرة اخرى وهي تضيف :

ـ انا اعرف انك لاتريدني ولكنك على الاقل سوف تتظاهر بانك تريدني .

ولم يجب على قولها هذا اما هي فقد رفعت وجهها وهي تامره قائلة :

ـ قبلني بالطريقة الصحيحة .

منذ سنوات عندما كانا جديدين في الكلية ، علمته بالضبط ماذا تعنيه بالتبادلة على الطريقة الصحيحة ، ومن ثم مضى على الفور في القيام بهذا الواجب وهو واجب حبيب الى نفسه ولاريب ... وانتظر الومضة التي تنسال في عروقه ، وضـغط بشفتيه على

شفتيها ؟ واخذ يقيس الحرارة المتزايدة الناتجة ، وتخيل آلة دقيقة تقيس بطريقة بيانية القوة المتزايدة للحب ان هذه القوة فى سيرها تعتبر تفجيرا ذريا أيضا ».

ونزعت نفسها من بين يديه :

ــ انك لاتفكر فى !.

وحينئذ رن جرس التليفون ، وعلى التو استدار الى هذه الآلة التى انقذته من الورطة التى كان فيها . ودفعته زوجته جانبا وقالت :

ــ ان هذه مكالمة لى ، وانا انتظرها . ان عائلة بورتر تريدنا أن نذهب اليها ، وقد قلت لهم سوف ابلغك .

فسألها ...

ــ ماذا تعنين ؟.

فقالت وهى تقضم شفتها السفلى ، وعيناها مسددتان اليه « أعنى ماتعرفه بالضبط » .

واختطفت زوجته سماعة التليفون ثم اعطتها له ، وهى تقول :

ــ ليست هذه مكالمة عائلة بورتر ، ان شخصا يريد أن يحدثك من كاليفورنيا .

ورمقها بنظرة تأنيب ثم امسك بسماعة التليفون . واخذ يحدث رئيسه العالم الطبيعى « بيرتون هول » وكان صوت «بيرتون» المرتفع يهز اسلاك البرق ، وهو يقول :

ــ آسف اذ اطلبك فى هذه الساعة ولكن الامر مهم جدا .

ــ بالطبع !.

ــ اذا طلبت منى الحكومة أن اراس مشروعا معينا فانى اريدك أن تكون معى .

ــ اين ياسيدى ؟.

ــ لا أعرف بعد . بل لا استطيع ان اقول لك ماهو هذا المشروع ولكنك لن تأسف على الحضور . انه اكبر عمل فى العالم .

ــ الا تستطيع أن تقول لىَ أكثر من هذا ؟.

ـ لا . ان الامر سـر .
ـ ومن سيكون معنا فى هذا المشروع ؟.
ـ جميـع كبار العلماء بالاضافة الى أفضل العلماء من الشباب وأنت أول من أريدهم من هؤلاء .
ـ من الصعب ان اقول لك لا ، ولكن ..
وهنا رنت فى اذنه ضحكة كبيرة ، وسمع زوجته تقـول :
ـ ارفض هذا الطلب . فانا لا استطيع أن أتركك .
وتردد كوست قليلا ، لقد عمل مع بيرتون هول وتحت اشرافه منذ ان انتهى من دراسته . ثم قال لاستاذه عبر التليفون :
ـ يجب أن اتحدث فى هذا الشأن مع زوجتى .
وكانت هيلين فى هذه الاثناء تذرع الغرفة وقد احتقن وجهها ثم تمتمت فى همس تقـــول :
ـ لاتقل انك مضطر لان تناقش معى هذا الموضـــوع
وضحك ، وقال عبـر التليفـون :
ـ ان هيلين تقول انها لاتريد أن تتحدث مع أحد بشـــأن هذا الموضـــــوع .
ترن الصوت الآخر الاجش فى اذنه وهـو يردد :
ـ يالها من فتاة طيبة ، سوف ترضخ . انهن دائما يفعلن ذلك .
وكان بيرتون هول يعنى بهذه العبارة الاخيرة ، زوجته مولى .. أم ولديه الحنون ، التى تتدخل فى كل شيء ، والتى دائما ماتكون حاضرة فى أى موضوع ، حتى أن هيلين فى يوم من الايام قالت فى غضب انه لاتوجد وسيلة البعد عن هذه السيدة . وقال لهاستيفن آنذاك :
ـ وبمـــا لايريد هـــو أن يبتعـد عنها .
كانت هيلين قد فتحت عينيها الزرقاوين تحت رموشها السـوداء ثم القت بكلمة ـ غبى ـ التى كانت كافية لأن يتبادل الاثنان بسـببها الضـــحك .
ثم قال ستيفن لاستاذه عبر التليفون :

ـ احب ان اسمع كل شيء من الموضوع اذا بدىء في تنفيــذه والعمــــل فيــه

فسمع بيرتون هول يقول له :

ـ بالطبع . واحب ان اراك صباح الثلاثاء في المعمل » .

وسمع ستيفن صوت سماعة التليفون على الطرف الآخر وهى ترتطم بالآلة ، ثم وضع السماعة التى فى يده ، ووقف تائها فى تفكير عميق وكانت هيلين تنتظر فى صمت ،وكانت قد فتحت باب الفرن ، واخرجت الشواء ،ثم جسته بشوكة ، ثم ادخلته مرة اخـرى ، واغلقت الباب . ثم اخذت تتمتم :

ـ وداعا يامنزلى . . وداعا يامنزلى الحبيب الجديد . . المنزل الذى لن املكه أبدا ، بيتى ، قلعتى ، مأواى الجميل ، وداعا يا شجيرة الورد البيضاء وداعا ياحديقتى الزرقاء ذات الاشجار الجميلة . . وداعا لــكل شيء .

وتنبه ستيفن فجاة ، وكانه عائد من اماكن بعيدة وقال :

ـ لا وداع لأى شيء . . ان المنزل هناك ينتظر ، قد اتفق معك فى أنه سيتاخر قليلا ، ولكنه موجود ، وسوف تستمتعين به يوما ما . ثم قالت :

ـ عندما اراه . .

ولكنها كانت لا تزال مبتهجة ، ومتسامحة وكانت ترقص فى دائرة حوله ، وهى تفرد فستانها ، واخذت تغنى :

« سوف يكون لنا ولد . سيكون لنا ولد صغير يشغلنى من كل شيء . ولد أتلهى به بينما تكون أنت مع نجومك وذراتك » .

وقفت بجانب الفرن واطفأته ، ونظر اليها مستغربا وقال :

ـ اهــــذا وقتــــه ؟ . .

ولكنها واصلت رقصتها وهى تضيق من الدائرة حتى انتهت بين ذراعيه ، وشفتاها فوق شفتيه ، وتمتمت قائلة :

لينتظر الطعــــام .

وبعد ذلك بساعتين ، سحبت نفسها من جانبه ، وقالت :

ـ لم يحدث شيء هذه المرة أيضـــــاً »
جلست على طرف السرير الكبير ، ووضعت رجليها في « شبشبها »
وكان ضوء القمر الصاعد في السماء يتسلل عبر الستائر البيضـــاء المســـدلة . وســـألها :
ـ ما الذي يجعلك تقـــولين ذلك ؟
ـ فهزت راســـها وقالت :
ـ لم يكن قلبك معي ».
وأخذ يفكر في هذا الاتهـــام ثم قال :
ـ ليس صحيحا ماتقولين .
وتحولت اليه وامسكت باذنيه ، واخذت تحملق في اعمـــاق عينيه ، ثم قالت :
ـ لم يكن عقلك حينئذ هنا . واتحداك ان لم يكن عقلك هـــو قلبك ، وقلبك هو عقلك ، وانت لاتعرف الفرق بينهما .
فتطلع الى العينين الزرقاوين اللتين تتهمانه ، واذا لم يستطع أن ينكر الحقيقة ، جذبها اليـــه حتى أصبح فمها على فمه وبعثر شعرها الاســـود على وجهه .
وفي صبيحة يوم الثلاثاء كان بيرتون هول يتحدث الى ستيفن كوست وفي نهاية الحديث قال له :
ـ هذا ما أستطيع ان اقوله لك . أما الباقي فيجب أن تثـــق بنا بشانه .. ان هذا عمل هام في ساعة عصيبة . وسوف نجرى الاختبارات في مكان ما ، وبعد ذلك نمضي في الانتاج ».
وسأله ستيفن :
ـ الا تعـــرف أين ، ومتى ؟.
ـ ليس بعد . ولكن سيكون العمل في مكان بعيد منعزل لا يمر اليه انسان حيث نستطيع أن نحمي المداخل والمخارج .
ـ كم سيمضى من الوقت قبل ان نتحرك ؟.
ـ انني لا اعرف ذلك ايضا . ولكن لايجب ان تثبت في اي مكان الى هذه الفترة . ولا يجب ان تشترى المنزل الجديد ».

واخذ ستيفن كوستت يفكر ؟ ولكن صوت بيرتون هول الحاد داهمه وهو يفكر ، وقـال :

ـ انني اريد مساعدتك ..

ولم يجب ستيفن كوستت وكانت شمس ابريل الباهتة تسقط عبر المكتب الكبير القديم فى الجامعة ، وتسقط على السجادة البالية عنـد قدميه . ثم تلاقت عينـاه بعينى بيرتون هـول الخضراوين المتوترتين تحت حاجبيه الكثيفين . وقال :

ـ الا يخاف هؤلاء العلماء الاجانب ، وخصوصا هؤلاء الـذين قدموا من المجـر .

ـ اعتقد انك تفكر فى زيجتى انه مثير . وكم أصبت شكوكى عليه ، ولكنه لايضعف . ودائما مايردد الهاماته بأن الامريكيين اطفال ينامون مثل الصبية ، ويحشون بطونهم بالطعام ، ويلعبـون بالكون ويتلهون بالحب . وهو يصر على أن اهتمامنا بالجنس فى حد ذاته يجعلنا اغبياء ، ويغلق عقولنا .. على فكرة سوف اتناول عشائى اليوم مع طومبسون . لقد عاد معى . الم تقابله ؟.

ـ طبعـا سمعت عنـه .

ـ انني لأعجب هل سنستطيع مرة اخرى أن نقيس الأشعة الكونية كما كنا نفعل ؟ . لا اعتقد .

أما فيما يتعلق بطومبسـون فهو زميل رائع . لقد كان طالبـا عندى منذ اثنتى عشرة سنة ، او ربما ثلاث عشرة سنة . وهويتمتع بعقل خصب ، ودائما مايفكر فى اشياء جديدة ، بل وينفذها . ويكاد ينتهى من جهاز السيكلوترون الذى يصنعه ويتوقع ان يفعل بـه شيئا عظيما فى علاج السرطان . وسوف يكون لديه افكار جـديدة اليوم . ان الافكار تنبثق منه وهى تتعلق بالتفـاعل . عليـك اذن أن تحضر الى فنـدق بيلامى فى السـاعة السابعة والنصـف . فلنستمتع بشىء من الرفاهية قبل أن ننغمس فى التقشف والجفاف

وعلى الفور قال له ستيفن كوسـت :

ـ سوف اكون هنـاك فى ذلك الوقت .

ونهض ستيفن كوست ، ولكن بيرتون هول واصلَ حديثه قائلاً :

ـ لقد اوقفنى طومبسون يوما وهو فى طريقه الى كاليفورنيا وكان فى ذلك الحين يدرس هناك ، واطلعنى على الخطط التى رسمها لهذا الجهاز الذى يسميه بالسيكلوترون ، والمسالة تتعلق بما اذا كان هذا الجهاز سيفيد فيما نحن مقبلون عليه ، وعلى اية حال فهو يفيد الى الدرجة التى تجعلنا نتتبع طريق النواة المنفردة ، ولسوف نتعرف على اقل قدر من الطاقة نحتاج اليه لتحطيم نواة معينة . ومن ثم فان كل ما قمنا به من عمل يتعلق بالطاقة الشمسية ، سوف يفيدنا الآن وانى لاراهنك على انك كنت تعجب مما سوف نجنيه من فائدة من عملنا فى الاشعاعات الكونية .

وهنـا قال ستيفن :

ـ لقد علمتنى الا اسال . وان امضى فى المعرفة من اجل المعرفة ذاتها .

فوافقه بيرتون على ذلك ، وقال :

ـ هذا راى . ولقد ادى بنا ـ او سوف يؤدى بنا ـ الى السر الذى يكمن وراء الشمس ، ووراء الحياة ذاتها . فكر فى هذا جيدا لقد كان يمكن ان تموت البشرية لو لم يكن هـذا السر بل وكانت الشمس قد بردت منذ فترة طويلة لو لم تكن موجودة من اجـل هذا المنبع المقدس للطاقة الحرارية النووية .. الانفجار ، هذا هو السر ، واننا على وشك ان نكتشف اعظم هذه الانفجارات جميعا . وماذا كنا سنفعل بدون العلماء الاوروبيين ؟ لقد عاشوا اجيـالا كثيرة يستخدمون فيها عقولهم المركزة لحل المشكلات المركزة الدقيقة بينما لم يكن لدينا وقت ، كان علينا ان نبنى امة من الاحـراش ، ومن ثم لايجب ان نهمل هؤلاء الاجانب . لقد اطلت ويجب على ان اتوقف من الوعظ . وكان يمكن ان اكون واعظا ، وانا لا استطيع ان اهرب مما ورثت . الم اقل لك كثيرا ان ابى كان من رجال الدين ؟ .

فقال ستيفن فى حزم ؟
- نعم لقد قلت لى ذلك .
فقال بيرتون هــول :
وكانت امى ايضا متدينة . فكيف استطيع أن اهرب من هذا الارث ..
فقال ستيفن كوست وهو يقف بالقرب من الباب .
- بالطبع لا تستطيع . وداعا . سوف أراك هذا المساء .
فأخذ ستيفن كوست يفكر فيما بينه وبين نفسه كيف ستتحمل هيلين هذه الخطوة الجديدة . لسوف تسأل الى أين سنمضى . ولن استطيع الاجابة على هذا السؤال . ان بيرتون هول لم يعتبر ذلك شيئا مهما وربما لايعرف الى اين سنمضى .. اذن لا حاجة لأن يطلب هيلين ، لسوف يعرف الكثير هذه الليلة وسوف يكون هناك وقت كاف ليحدثها فيه عندما يعود الى المنزل كذلك يجب أن تتعود على الانتظار من الآن . ونحى جانبا فكرة انها لم تتعود على الانتظار وانها لن تتعود عليه . ذلك انها قالت :
- ان لدى مرضا خطيرا يطلق عليه قلق الروح .
ونحى أيضا هذه الفكرة جانبا . ومضى يسير فى هواء الصباح البارد . وقد تنبأ الراديو بان المطر سوف يهطل بعد الظهيرة ،وربما بعض الثلوج . وتنفس فى عمق ثم أسرع الخطى . كان منتعشا ، ويشعر بالحيوية والشباب . ثم تذكر فجأة انه لن يذهب الى منزله لتناول الغداء . ومن ثم أمسك بسماعة التليفون ليكلم زوجته .
- هيلين ؟.
- نفس الشيء بالامس واليوم والى الابد . ان عندى بعض شرائح اللحم للعشاء هذه الليلة ..
- هيلين ، يجب ان اقول لك .
فقالت وقد تخلت عنها فرحتها :
- لن نستطيع ان نشترى البيت ؟ .
- ليس بعد ياعزيزتى . ولكن .

ـ ماذا يريد رئيسك الآن ؟».
ـ شيئا على جانب كبير من الأهمية ، وانا لا استطيع أن ارفض».
فصاحت وهى تقول :
ـ بالطبع ان كل شىء مهم بالنسبة لك ».
وتركها تولول ، ثم قال :
ثم قال :
ـ هل استقيل من وظيفتى ؟»
ـ لا ياستيفن . لا .
ـ سوف يكون لك بيت ، وانت تعرفين ذلك .
ـ نعم ، اعرف .
ـ هل احبك ؟»
ـ اعتقد ذلك .
ـ هل احبك ؟ .
ـ نعم .
ـ تذكرى ذلك جيدا .. على فكرة لن أحضر للعشاء الليلة . ان بيرتون هول يريدنى أن اقابل طومبسون .

ووضع السماعة غير عابىء بما ستجيب به عليه .

كانت ردهة الفندق مزدحمة بالناس عندما دقت الساعة السابعة والنصف . هذا بالرغم من انها ردهة كبيرة ، تتسدل على يسارها الستائر الشرقية التى يصل ارتفاعها الى اثنى عشر قدما . اما فى وسط الردهة فكانت النافورة تخرج ينابيعها الصغيرة من المياه الفضية ، وفوق النافورة وفى قفص كبير معلق بخيوط لاتستطيع ان تراها كانت الطيور والعصافير تمرح وتغنى . وتطلع ستيفن حوله ولم ير واحدا يعرفه . لقد جاء فى موعده بالضبط وهو الآن اول من حضر . ويتذكر كيف ان هيلين صباح ذلك اليوم قد اعربت عن شكواها قائلة :

ـ كم تضيع من الوقت وانت تضبط مواعيدك دائما .

ولكنه لم يكن يستطيع أن يغير نفسه . لقد علمه ابوه ان يكون دقيقا . فالشكر يجب ان يقال قبل ان يؤكل الطعام . وكان هذا



الشخص الطويل — وهو ابوه — ينتظر على راس المائدة ثلاث مرات في اليوم حتى تجتمع العائلة كلها . ولكن الوقت اصبح جامدا لايتحرك ، مادة تخضع لها الواحد ارادته .

وقد قالت له زوجته هذا الصباح :

— كيف [illegible] الوقت .. الا تعتقد فيما قاله اينشتين ؟ انه شيء [illegible] .

كانت هذه [illegible] عاداتها [illegible] والمثيرة الضيق الى حد ما .

واخذ [illegible] وهو واقف امام النافورة ويشاهد العصافير المرحة السعيدة . لقد تعلمت الحديث العلمي ؛ واستخدمت ذلك

لمضايقته وتحديه ، ونجحت في ذلك لانه ، لدهشته الشديدة ،لاحظ انها تدرك بشكل مدهش المبادىء التي تعلن انها تحتقرها ، وليس هذا عن طريق استخدام عقلها ، ولكن عن طريق ومضات لما يسمى بالحدس ، وهذه كلمة يمقتها كثيرا .

وترك هذا كله يخرج من عقله ، وركز اهتمامه على العصافير الخضراء وبعض عصافير الكناريا الصفراء . وانطلق أحد عصافير الكناريا وكان من الذكور ، يغنى ، وحفز أكثر من ستة عصافير أخرى على الغناء والتمشى معه في النغم والصوت . اما الاناث فقد لاحظ انها تظاهرت بعدم الاهتمام . فقد وقفت على الاسلاك الصغيرة داخل وعاء الحبوب واخذت تلتقط طعامها . فهل تسمع أو تهتم ؟ لقد اخذ يعمل فكره حول الاختلاف بين الاجناس . للنظر الى فراشات الفاكهة — ولم يكن ستيفن بن [illegible] ناقش هذا الموضوع فى احدى الامسيات مع ستانتون عالم الأحياء الكبير .

قال ستانتون :

— قد تكون الاهمية الوحيدة للذكر هي أنه اداة للبقاء .

واعترضت هيلين وقالت :

— فكرة رهيبة .

ولكن عينيها كانتا تتطلعان فى حب استطلاع حتى انها قالت :

— استمر ..

فواصل ستانتون حديثه قائلا :

— انى أعمل بالارقيات وقد وجدت أنه عندما ينقص الطعام ، ويصبح الأمر يتعلق بالبقاء ، الشيء الذى يعنى الصراع ، فان الكثير من الذكور يولدون . ولكن اذا ما ازدادت مؤن الطعام ومن ثم قلت الحاجة الى الصراع ، فانه يولد الكثير من الاناث .

وسألت هيلين :

— ماذا يعنى ذلك ؟

فقال ستانتون وهو يضحك :

ـ انت التى تقولين لى »

وواصل ستيفن تفكيره ... ليس هناك قلة فى الطعام فى هذا الفندق ، فهاهى أوعية الحبوب ممتلئة ، وهنـــاك بعض أوراق الخس ، وبعض البيض الملون المقطع يقدم غذاء لهذه الاناث . وكانت ما تزال تتخم حويصلاتها بالاكل ، غير عابئة بالغنـــاء الذى كانت الذكور تشدو به .

ولكن صوت بيرتون هول الأجش أخرجه من هذا العالم الكبير :

ـ انت هنا ـ يا ستيف ـ هل انتظرت مدة طويلة ؟ . ها هو طومبسون قادم من كاليفورنيا ـ تومى ـ انك تعرف ستيف ـ انه مشهور بالاشعة الكونية الخ .. وهو افضل شاب عندى »

ثم نظر الى ستيفن وقال :

ـ لقد جئت بأول مساعد لى »

جين ايرل :

ـ هيا لقد حجزت مائدة »

وعلى الفور كان بيرتون هول فى منتصف الردهة . وصـــافح ستيفن طومبسون نعم انه ليتذكر هذا الشخص النحيف الصغير . ولكن من تكون جين ايرل هذه ؟ انه لم ير هذه الفتاة من قبل . لقد كانت شابة صغيرة . وربما فى الثانية والعشرين من عمرها ، وربما تكون جميلة انه ليس على يقين من ذلك ، ولكن المؤكد انها انيقـــة فى ردائها الاسود وقبعتها الصغيرة البيضاء . كانت هـــادئة وكان صوتها واضحا . وذهب اليها حتى كان على بعد خطوة منها ثم قال :

ـ انني لم اقابلك من قبل ، هل قابلتك ؟»

فقـــالت :

ـ لقد قدمت الى هنا من نيويورك منذ اقل من شهر .. ولم يقابلنى احد .

وقرر فيما بينه وبين نفسه انها فتاة رقيقـــة وهادئة ولبست ثعوبا وما ان جلسوا جميعا حول المائدة حتى نسيها ، بالرغم من انها كانت فى مواجهته بين بيرتون هول وطومبسون .

وقال بيرتون هول :

ـ لا تتحدثوا قبل أن تقرروا ماذا ستأكلون .. انني دائما افضل اللحوم المشوية .. وانتم ايضا .. اليس كذلك ؟ اذن أربعـــة من اللحوم المشوية وسلطة خضراء وقهوة .. والآن ماذا احـــرزت من تقدم ياطومبسون باختراعك الذى يحطم الذرة ؟ ان السيكلوترون عبارة من محطم ذى طاقة عالية للذرة بالطبع وذرات الديوترونات والبروتونات والالفا ما هى الا مقذوفات أما الذرات الاخرى فتتحول الى نظائر مشعة .. شىء رائع .. رائع جدا .

وقال طومبسون فى صوت ضعيف جاف :

ـ هناك مساوىء ان النظائر يمكن أن تحطم الأنسجة الطبيعية وهذا يعنى اننا لا نستطيع أن ندرس الكائنات الصغيرة أو الخلايا.

فأجاب بيرتون هول :

ـ احب دائما ان اتحدث عن المزايا ، فالاشعاعات عندما تتأين يمكن أن تحطم الأنسجة الضعيفة الضامرة .

ومضت المناقشة على هذا النحو العادى . ولم تقل جين ايرل شيئا . انها امرأة رائعة صامتة يمكن تجاهلها عندما يتناقش الرجال فى سعادة . وانغمسوا جميعا فى عالمهم ، كرجال علم ، كل منهم اقرب الى الآخر اكثر منه الى زوجتـــــه وأولاده ، لغتهم سرية ، وعقولهم تنتظمها نغمة موحدة .

وتقدمت من الجميع فتاة شقراء مثيرة نصف عارية ، لتعـرض عليهم بعض المنتجات . ورد بيرتون هول على ابتسامتها بابتســامة واشترى منها بعض ما معها . أما الآخرون فقد رفضوا أن يشتروا شيئا . وجلس الجميع فى صمت واخذوا يشاهدون العرض الذى بدأ على المسرح الصغير المقام فى نهاية حجرة الطعام . وظهـــرت ست فتيات فى اردية فضية ضيقة وعلى شــــفاههن ابتسامات خفيفة .

وتطلع اليهن طومبسون ، ثم نظر بعيدا . أما ستيفن فكان يحتسى قهوته على مهل ، وهو يفكر فى سخف مثل هذا الترفيه ، بينما هناك فى معمله اشياء واختراعات مثيره ، أما بيرتون هول فقد كان يحملق فى هذه الفتيات . وشىء من السخرية ينطلق من عينيه الخضراوين ثم قال ، وهو يكاد يحدث نفسه :

ـ ماذا يعنى عندما نستخدم حقا الانتاج الهائل لاستخراج هذه الطاقة من الذرة على نطاق واسع لنعطى العالم الحرارة والضوء ».

فرد عليه طومبسون بقوله :

ـ أو نقضى عليه .

وعلى الفور بادره بيرتون هول بقوله :

ـ انت دائما متشائم .

ثم تساءل ستيفن وقد رفع صوته ليطغى على الموسيقى الصارخة التى تصاحب الفتيات الراقصات :

ـ هل تفعل هذه اللجنة التى تنعقد فى واشنطون شيئا ».

فاجابه طومبسون :

ـ ان كل ما يجرى سر بالطبع . ولكن لو كان حدث شىء هام لسمعنا عنه ، وانى لارتاب فى أنهم ينظرون الى الامر بشكل جدى ، ويجب علينا ان نفعل ذلك اذا صدقنا ما قاله ريجنى .

وضحك بيرتون هول وقال :

ـ هل قال لك شيئا أيضا ؟ ثم لأى شىء سنستخدم الطاقة اذن ؟ هل قال لك ؟ .

فقال ستيفن :

ـ اننا نستطيع أن نسير بها السفن ، او نقسم بها اليورانيوم ٢٣٥ .

فردد بيرتون هول كلام ستيفن وقال :

ـ لنسير بها السفن ! حسنا ، اخبره بكل شىء يا طومبسون » وقطع حديثهم تصفيق حاد ، فقد انتهت الرقصة واخذت

الفتيات ينطلقن مبتعدات من المسرح ، وحل محلهن ثلاثة من الاكروبات .

وقال طومبسون :

ـ اننا نعرف أن النازيين يعملون بنشاط وجد ، ولديهم رجال أكفاء ، وقد أحرزوا تقدما كبيرا فى فصل نوعى اليورانيوم ، وصدقونى انهم لاينوون استخدامهما من أجل السلام .

وفجاة انبعث صوت جين الهادىء وقالت :

ـ هل يجب أن نناقش هذه الموضوعات هنا .

فتوقف الرجال عن مناقشاتهم على الفور ، وقال لها بيرتون هول :

ـ اشكرك يا جين . عليك أن تذكرينا دائما بذلك . اذن لنتقابل فى منزلى غدا مساء ، فسوف يعود طومبسون الى كاليفورنيا بعد غد .

وساد الصمت ، واخذ الجميع يزدردون طعامهم بسرعة واهتمام . ثم احتسى الجميع القهوة ، وأخذوا يشقون طريقهم خارج الردهة ، ولكن ستيفن توقف قليلا عند قفص العصافير ، وشغل بها برهة ، كان هناك زوج من العصافير قد بنى عشا بين فرعين من فروع شجرة صناعية ، وكانت الانثى فى حالة من الضيق وترفض على مايبدو أن تجلس فى العش حيث توجد بيضتان . اما الذكر فقد كان نحيفا ومتغطرسا ، وكان يصرخ ويزمجر ولكن بلا فائدة وقفزت الانثى العنيدة الى حيث توجد الحبوب ، واخذت تبعثرها ذات اليمين ، وذات اليسار ، واخيرا جلس الذكر الثائر المتضايق ، وكان ما يزال يزمجر ، على البيض .

وسمع ستيفن بجواره من يقول :

ـ ياله من تعس ...

فتحول ببصره ليجد ـ وهو فى دهشة بالغة ـ عينين

سوداوين فى مستوى بصره تقريبا ترنوان اليه . كانت جين ايرل تقف بجانبه ، طويلة ونحيفة وهادئة . وقال :

ـ حقا انه لشىء سخيف ان اقف هكذا ، ولكن هناك شيئا جذابا فى هذه المخلوقات .

فقالت :

ـ انى احبها ، ويمكن أن اشاهدها لمدة ساعة ، بل لايضيرنى أن أقضى بعض يوم فى هذه المشاهدة .

وقال وهو يفكر :

ـ انى لاعجب كيف يحدث ذلك ؟.

فقالت :

ـ انها تحيا حياتها الخاصة البسيطة فى جد واهتمام ، بين كل هذا الضوء والبريق .

وقال لنفسه ان صوتها جميل دافىء .. وهذا هو الصوت الذى يجب أن تتمتع به كل امراة .. رقيق يتكسر فى عذوبة .

وعلى الفور سألها ، وقد نسى الطيور :

ـ كيف أصبحت عالمة ؟.

وضحكت :

ـ انى مهتمة فحسب .. وكنت دائما أهتم بالعلوم .

ـ فى العلوم !.

ـ اذا كان هذا هو ما تريد أن تسمى به اللهفة وحب الاستطلاع اللذين يدفعان الانسان ويسيرانه .

وضحكت واشاحت بهزة من يدها التى يغطيها القفاز ، وابعد عينيه من قدها الرشيق ، وكانت الكناريا الانثى فى القفص قد لانت ورقت ، فاقتربت من العش وأخذت تنقر فى رفيقها ، فنهض وقفز مبتعدا عنها بثلاث بوصات ، وحملق فيها بعنف من احدى عينيه ثم بالاخرى ، بينما كانت تستقر على البيض فى هدوء .

وحينئذ نفش ريشه وانطلق فى اغنية تحمل معنى الانتصار » ومضى ستيفن . من الذى سينتصر ؟ انه لم يستطع ان يقرر .

وفى مساء اليوم التالى اعدت « مولى هول » مرشحا من القهوة الساخنة على المائدة فى حجرة المعيشة ، وعددا كبيرا من الاقداح والاطباق . وكذلك إعدت الساندويتشات والفطائر ومفارش الورق الوردية اللون . فالعلماء دائما جوعى – تحالف .. ان هناك حفلة الليلة من أجل «طومبسون» . وسوف يحضر الجميع ، ومعهم زوجاتهم وكذلك جين ايرل . ان بيرتون هول بالنسبة لها افضل زوج فى العالم . ولكنه ما يزال انيقا حتى انها لتضطر ان تراقبه . انها تذهب معه فى كل مكان ، فقط لتحميه . وهى تعرف واجبها . فالعلماء دائما مشغولون تائهون . وهم لا يعرفون متى تتودد اليهم المرأة ، وعندما يعرفون يشعرون بالسرور العميق . ويمكن خداع بيرتون بسهولة . فهو يصدق كل شىء تقوله له اية امرأة ، عندما يراها . ومضت الى السلم . ونادت بيرتون هول [illegible] . فقالت :

– سوف اصعد اليك .. انني على ثقة من انني وضعته فى الدرج الذى فيه قمصانك الاخرى .

كان بيرتون هول يبحث عن قميصه ذى الخطوط الزرقاء المفضل لديه . ياله من طفل . ماذا كان سيفعل بدونها ؟ وفجأة دق جرس الباب واحتارت ماذا تفعل . ماذا يجب أن تفعل أولا ؟

وصرخت وهى تسرع الى الباب :

– انتظر لحظة يا بيرت .

انه لابد أن يكون احد العلماء قد جاء فى موعده .. وهم دائما كذلك . وفتحت الباب لترى « ايرنست وبتر » .. الماني .. اليس كذلك ، أو ربما يكون مجريا ؟ انها لا تستطيع ان تميزهم . وقالت له فى عطف :

– تفضل بالدخول ، سوف يحضر بيرت حالا .

واخذت منه قبعته التى هى عبارة عن حطام قبعة ، ان هـؤلاء الاجانب ليس معهم نقود .

وانهى ارتداء ملابسه وتطلع الى المرآة ليسوى شعره الاحمر الخشن . ودق جرس الباب مرة اخرى فاسرع يهبط الدرج وفتح الباب ، كان جميعهم قد حضر .. اخوته فى العلم ، وكان يحييهم، وكانت زوجاتهم تسير وراءهم .

فصاح :

ـ ادخلوا تعالوا ايها الزملاء .. هناك قهوة وشراب .

وانضم اليهم وهم فى حجرة المعيشة . وزوجاتهم تتبعهم .. ولكن جين ايرل كانت تسير وحيدة هادئة .

وتمتمت هيلين كوست التى كانت تتبع زوجها ستيفن ، فى اذنه اليمنى :

ـ ان هذه تشبه حفلة لعب الورق .. ومن تكون هذه الفتاة السمراء الطويلة ؟ هل تعرفها ؟.

فقال ستيفن :

ـ جين ايرل .. ها هو «وينر» انى اريد ان اساله عن شىء .

وترك زوجته وجلب كرسيا الى جانب «وينـــر» . وابتسم الرجل المجرى ، ومد يده اليمنى ، ولمس يد ستيفن وقال :

ـ ما اقوى يدك .

وضحك ستيفن واقترب بكرسيه اكثر وقال :

ـ هل قرات التقرير الذى جاء من «فون هالبان» و«جولبوت» و « كوارسكى » ؟ .

فاوما وينر ثم همس :

ـ ان هذه هى الخطوة الاولى ولكنها لا تبشر بالكثير .

واستمر فى كلامه ولكن مولى كانت تحث الزوجات على الذهاب الى الشرفة . واخذت كل منهن وهى خارجة تنظر الى جين

ايرل التى كانت تجلس فى كرسى كبير اخضر اللون يتنـــاقض مع ردائها البنى المائل للصفرة . وكانت تبتسم لهن فى رقة كانهـــا تعتذر .

ونهض بيرتون هول وذهب الى جين ايرل ودفع بكرسيها الى دائرة الرجال وقال :

ـ تقدمى .. انت تعرفين اننا لا نستطيع ان نستغنى عنك ؟ هل تريدين ان تكتبى ملاحظاتنا ونحن نتحدث ؟ .

ـ بالطبع ...

ثم قامت من مقعدها الوثير واجلست نفسها على كرسى عادى الى المائدة . ومن حقيبتها البنية اللون اخرجت قلما وكراســة صغيرة ثم ازاحت قبعتها الصغيرة من فوق راسها . وكان شعرها يلمع بلون برونزى اسود فى ضوء المصباح اما بشرتها ـ وهـــذا ما لاحظه ستيفن فجاة ـ فكانت بيضاء كالقشدة .

وقال بيرتون :

ـ ماذا نعرف حقا عن الألمان ؟ . وما الذى حصلوا عليه ؟ .

فاجاب ريجنى فى صوت أجش :

ـ « هان » ان لديهم هان .. وهو يساوى عشرة من أمثالنا ترد عليه بيرتون . انني لا اقبل ذلك ، ثم ماذا يفعل هان ؟ هـل يعرف اى واحد ماذا يفعل بالضبط ؟ .

وسعل « وينر » وقد وضع يده أمام فمه ثم أردف :

ـ معذرة .. انني اعتقد ان مثل هذه الاشياء ليست هامة . ما يفعله واحد وما يفعله الآخر . اننا فى سباق .. كذلك فان كل واحد يفعل شيئا لنصل الى الهدف . ولكن ما هو الهـدف ؟ انه الانقسام ـ انقسام النواة ـ فى تفاعل مستمر . واننى أرى اننا على وشك ان تكتشف ذلك . فاذا أمكن فصل اليورانيوم ٢٣٥ من اليورانيوم ٢٣٨ فسوف نصل الى الهدف .

والبرى طومبسون يقول :
ــ موافق .. فالقوة المتفجرة ستكون اقوى مائة مليون مرة من ت.ن.ت . ولكنها أكثر تعقيدا مما يعتقد فيرمى .
فقال زيجنى :
ــ ان كل شيء بسيط وسهل اذا وجد عقل مثل عقل فيرمى .
واحتدمت المناقشة وتطورت .. كما هو متوقع .. الى جدل علمى .. وظهر الاهتمام والجد على الوجوه . ولــكن جين كانت تعبث فى حقيبتها لتخرج نسخة من خطاب وصلها من صديق لها فى لندن . وقد جاء فى هذا الخطاب :
ــ انه ليبدو من الممكن ان نواة اليورانيوم ليست ذات شــكل ثابت تماما ، وقد تقسم نفسها .. بعد استغلال النيوترون .. الى نواتين صغيرتين متساويتين .
وتطلعت اليهم ورات عينى ستيفن مركزتين عليها . ثم قالت :
ــ اليس هذا هو الانقسام . وهم يقولون فى الخطــاب ان العناصر الناتجة من ذلك مشعة .
وكان الجميع ينصت فى اهتمام . ولكن « وينر » البرى بعد تردد ليقول :
ــ ليس هناك اهمية فى ذلك ما لم يؤد احد الانفجارات الى الآخر .
وصرخ بيرتون هول موجها كلامه الى طومبسون :
ــ الا تعرف اننا لا نملك ما يكفى من اليورانيوم كما اننا لا نملك من الماء ما يكفى الثقيل . والله ــ او الشيطان ــ يعرف وحده ماذا يفعل الالمان بالماء الثقيل فى النرويج ؟ . ثم ماذا عما نفعله الروس واليابان ؟ .
ولم يكمل اذ سمع زوجته تناديه .. تساله عما اذا كانوا على استعداد لتناول المرطبات .
وكانت الساعة تقترب من الثانية عشرة .. فاوما فى عنف ووليم عبر الحجرة ووقف وظهره الى الباب .

- تعرفون أيها الزملاء أن هذا سرى جدا .. ويجب أن نفكر فيما نفعل .

فقال ستيفن .. يجب أن نبلغ الحكومة عن مخاوفنا .

فأردف طومبسون . لاريب فى ذلك .. ولكن الا ننتظر حتى ينتهى المؤتمر ؟ فسوف يكون لدينا حينئذ الكثير الذى نقوله ذلك لاننا سنعرف الكثير .

فقال بيرتون :

- ليس من الورق الذى يقرأ علينا »

فاقترح وبنر :

- ولكن يجب ان نعقد مباحثات خاصة . أما عن نفسى فسوف اتحدث مع بعض العلماء الأجانب . ويمكن أن أجد بعضهم . وسوف يلقوننى باسرار يريدون ان يعرفها الأمريكيون .

ووافق بيرتون بقوله :

- بعد المؤتمر .

وكانت زوجته تنقر على الزجاج وراء ظهـــره الذى يرتكن الى الباب .

وفتح الباب ودخلت النسوة . وتخلل الجو المتوتر الذى كانوا فيه وتحول الى أصوات وكلمات وحركات ورائحة القهوة الساخنة .

وبعد ساعة ، وبينما كان ستيفن يقود عربته عائدا الى البيت وبجواره زوجته فى معطفها سمع زوجته تتمتم وهى لصف نائمة !

- ماذا فى هذه المرأة لا اتمتع به انا ؟

فسألها وهو فى شبه غيبوبة !

- اية امرأة ؟

- اذا لم تكن تذكر فسوف اذكرك . ثم راحت فى النوم مرة أخرى .

وفي الصباح استيقظ من نومه مبكرا . وكان ذهنه صافيا ، وكانت الافكار تتابع الواحدة بعد الأخرى . كان يفكر في العالم الياباني الذي اجبر الجميع على احترامه ، والذي يعمل في نظريات تتعلق بالعنصر الجديد في نواة الذرة . ثم راح فكره الى العالم النمسوي وفي كل ما يقوم به هؤلاء جميعا . كان فكره يتجول في سبحانه وحده بينما كان جسده ـ بسبب العادة ـ يقوم بمهامه الضرورية . فقام بتنظيف أسنانه ، واستمتع بحمام الصباح ، وحلق ذقنه واخذ يرتدي الملابس النظيفة التي وجدها معـــدة له على الكرسي ، ثم عقد ربطة عنقه . وبعد أن ارتدى ملابسه وتأنق ، هبط الدرج الى حجرة الطعام . واستطاع ، من بعد ، أن يشم رائحـــة القهوة ، وعندما وجد القدح مليئا اخذ يحتسيه . كذلك شرب ـ وهو لا يعي ما حوله ـ كوب عصير البرتقال ، ثم التهم قطعة من اللحم وبعض البيض وقطعة من الخبز الناشف وقدحا آخر من القهوة . وتقبل جسمه هذا كله وتشربه وامتصه . وبعد أن تغذى واستدفأ نهض من كرسيه ، ووضعه في مكانه ، وسار عبـر الحجـرة الى الصالة ووجد قبعته ومعطفه . واستطاع في هذه اللحظة فقط ان يتبين انه تناول وجبة كاملة طيبة . وتردد برهة ثم عاد الى الباب وتطلع عبر الحجرة . وتملكته العادة مرة اخرى ـ عادة طفل مهذب وصوت امه يعلمه ـ يجب أن تقول دائما اشكرك يا سيدتي .

وقال :

ـ اشكرك .. اشكرك جدا .. لقد استمتعت بالوجبة .

وذهل اذ سمع ضحكات متصلة ، صافية وساخرة ، عبارة عن مزيج من الفرحة والتأنيب :

ـ ستيفن .. ماذا دهاك ؟ .

وتنبه .. واستعاد وعيه .. لقد كان في مواجهة زوجتـــه هيلين التي يتناول فطوره معها كل يوم .

وسألته :

ـ اتعرف اين انت ؟.
ـ بالطبع اعرف .
ـ قل لى اين انت ؟.
وتلفت فى انحاء الحجرة وتعرف عليها ؟
ـ انى فى المنزل .. فاين ساكون ؟.
ـ اذن لماذا تتوقف على باب بيتك وتشكرنى على الطعام .. !! تذكر انك رايتنى من قبل ؟.

وتنهد وشعر بالخجل ثم ضحك ..
ـ الا تغفرين لى ؟ .
ـ ستيفن !.
ـ لا اعرف لماذا تزوجتنى ؟ .
ـ كنت اريد .. هذا شىء فظيع »
ـ امتاكدة انت ؟ .
ـ كيف اتاكد ؟!.
وارتمت بين ذراعيه ثم انسحبت منهما ، وهى تصلح ربطة عنقه ، وتفرق شعره بسبابتها فى رقة ..
وقال متحتما :
ـ اكره ان اتركك ..
فقالت :
ـ ولكن يجب ان تتركنى .. اننى اعرف ذلك جيدا .
وابتسمت له ابتسامتها الرائعة الجميلة .

***

بعد ستة شهور وفى منتصف الصف السادس فى قاعة المؤتمرات كانت جين ايرل تجلس محشورة بين اثنين ، يتصببان عرقا ، من الاوربيين اللذين لم يعتادا على الجو الحار فى امريكا ، وكان بيرتون هول يقف على المنصة يتكلم ويقول :

ـ ان العمل بالنيوترونات البطيئة سوف يسبب انقسام اليورانيوم ٢٣٥ والمشكلة هي ان اليورانيوم ٢٣٥ أقل من واحد في المائة من أية عينة من اليورانيوم العادى . ومع ذلك فاننا نعرف الآن ، والفضل لتكهنات « فيرمى » ، انه من المحتمل أن يمتص اليورانيوم ٢٣٨ ـ وهو كثير ـ بعض النيوترونات البطيئة ، وعلاوة على ذلك فان ذرة واحدة من كل مائة واربعين في اليورانيوم ٢٣٨ هي عبارة عن يورانيوم ٢٣٥ . ولحن نعرف ان اليورانيوم ٢٣٥ سوف ينقسم بفعل النيوترونات السريعة وكذلك بفعل النيوترونات البطيئة . ولست بحاجة لان أقول لزملائى العلماء ما يعنيه هذا . فان عقولكم لتسبق عقلى بمراحل . نعم .. سوف توجد الطاقة الذرية من انقسام اليورانيوم ٢٣٥ بالنيوترونات البطيئة . أو توجد تفاعلا متسلسلا بالنيوترونات السريعة . وسوف يؤدى الأمر الثانى الى انفجار والسؤال الآن هل يمكن السيطرة على هذه الطاقة المتفجرة ؟.

وحينئذ سمعت جين بجانبها صرخة الم مكتومة . واختطف الرجل الأصلع منديله من جيبه واخذ يجفف عرقه . ومال لكى يتحدث مع زميله الذى يجلس الى يسارها وقال :

ـ هانز .. ماذا يجب أن نفعل مع هؤلاء الأمريكيين وهم يذيعون اسرارهم في كل مكان ؟.

ـ ربما أصبح الوقت متأخرا الآن .

واعتذر كل منهما لجين .. ولكنها قالت :

ـ انى مهتمة بما قلتما . هل تعتقدان انه لا يجب أن تكون هناك مثل هذه المؤتمرات كتلك التى نعقدها الآن ؟.

ـ بكل تأكيد . لا يجب أن يكون هناك مزيد من هذه المؤتمرات .. انها خطيرة .

ـ اؤكد لك يا آنسة أن الالمان يعكفون في جد بالغ على صنع الأسلحة الذرية . فلماذا تجاهلوا السويد وذهبوا الى النرويج ؟ ان النرويج هي التى لديها الماء الثقيل الذى يحتاجونه .

وما ان فرغ بيرتون هول من حديثه حتى أسرعت البنت ..
وعندما رآها على هذا النحو من اللهفة قال لها :
ـ ماذا هنالك ؟.

ـ حاولت ان الحق بك قبل ان تهرب. لدى شيء اريد ان اقوله لك قد يكون مهما وقد لا يكون مهما ..
ـ تعالى نتناول شيئا من الشراب .

وتبعته في هذا الجو الخريفي البارد .. الذى عدلت منه في ذلك اليوم أشعة الشمس الساطعة . وجذب بيرتون نفسا عميقا ثم آخر .. وأخيرا قال :

ـ انني أحب زملائي العلماء .. انني أحبهم بعمق ولكن ما أستخفهم عندما يلقون الخطب ..

ـ انني لا اعرف لم تفعلون ذلك .. انكم جميعا سواء . وانت تعرف ذلك ، وانتم لا تخدعون أحدا ولا حتى أنفسكم .

ونظر اليها من قامته الطويلة ولمعت عيناه الخضراوان بومضة مباغتة ثم سألها :
ـ متى ستستسلمين ؟.
ولكنها تغاضت عن سؤاله هذا وقالت :
ـ ان ما اريد ان أقوله لك ..
فقاطعها بقوله :

ـ ان ما اريد ان أقوله لك يا فتاتي الطويلة هو انني اريد ان أنام معك .

ولم تأبه .. ولم تحاول ان تسأل نفسها هل هو جاد ام لا .. انها تريد ان تقع في الحب ولكنها لم تحب بيرتون هول . وتجاهلت نظرته الملتهبة واستطردت :

ـ كان يجلس بجانبي اثنان من العلماء الأجانب ولم يتفقا معك لأنك كنت تناقش أمورا يعتقدان انه لا يجب ان تناقش هنا . واشعر

بأنه يجب على أن ابلغك بذلك ، بالرغم من انك تعرف ما هى وجهة نظرهما .. عن اذنك .. لدى موعد على الغداء .

ـ مع من ؟.

ـ ليس هذا من شأنك .

قالتها فى رقة ثم تركته بغتة هناك فى منتصف الممر .

ودخلت المطعم وهى تحس بشعور غامض بالذنب . فقد كان آباؤها يصرون على أن الكذب من الخطايا السبع ولم يكن لديها اى موعد سوى الأمل .. الذى انكرته .. فى ان يكون «ستيفن كوست» هناك . فقد كان هناك فى يوم من الأيام قبل أن تقابله . وكانت قد حضرت فى ذلك اليوم مع « توماس فريتز » العالم الالمانى للكيمياء الحيوية .

وسألها « توماس فريتز » :

ـ هل تعرفين هذا الرجل الجالس هناك ؟.

فنظرت ثم هزت رأسها . فأردف :

ـ انه ستيفن كوست .. وارجوك الا تنظرى الى هاتين العينين لأنك ستجعليننى اشعر بالغيرة .. ولا اعرف ماذا سأفعل عندما اشعر بالغيرة لأننى حتى الآن لم اجرب هذه العاطفة .

وابتسمت حينئذ ونظرت طالعة ، وهى دائما تحذر مثل هذا الحديث من اى عالم ، انهم مثل الاطفال . وهى لم تجرب الحب . ومع ذلك لو لم تقابل «رامان» هل كانت ستصبح عالمة ؟ سؤال لا يمكن الاجابة عليه .

وأجلست نفسها الآن الى نفس المائدة الصغيرة التى رأت منها لأول مرة ستيفن كوست وكان الوقت ظهرا ، وكان المكان نصف خال ، ولم يكن هناك . وخلعت قفازها ونظرت الى قائمة الطعام . كانت سعيدة لأنه ليس هناك . فلديها الكثير الذى تفكر فيه الآن دون تعقيدات اية عاطفة جديدة . انها لا تريد ان تتورط .. كانت هذه اهم ضرورة لديها .

وقالت للجرسون :
ـ سمك وسلطة خضراء .. واحضر لى قهوة الآن .
ثم اخرجت من حقيبتها كتابا بعنوان « مدام كورى .. تاريخ حياة » وبدات تقرأ فيه .. وبعد قليل سمعت صوتا يقول :
ـ هل اجلس هنا ؟.
وتركت الصفحة التى كانت تطلع عليها قبل أن تقلبها ثم اشرأبت تنظرها لتجد ستيفن كوست واقفا يتطلع اليها عبر المائدة. فقالت:
ـ تفضل ..
ثم اغلقت الكتاب واستطردت :
ـ عادة ما اقرأ وانا آكل ، انني سعيدة اذ اجد احدا اتحدث اليه .
فرد عليها بقوله :
ـ طالما اننا سنعمل معا .. فمن الواجب أن نتعرف .. هل امرت باحضار الطعام .
فاجابت بالايجاب .. وحينئذ نادى الجرسون وطلب منه أن يحضر بعض اللحوم المشوية مع بعض البطاطس المحمرة وفاصوليا خضراء وقهوة .
وشعرت بالارتياح .. فالآن وهو يجلس امامها ، ويمكنها أن تتطلع اليه ، لم تعد تشعر بأى احساس نحوه . انه جميل الطلعة ... جميل الطلعة بكل تأكيد ، وهى تحب العيون السوداء والشعر الأسود والبشرة البنية الرقيقة . وربما كان السبب فى ذلك انها قضت طفولتها فى الهند ، ولكن الالتصاق الخطير الذى شعرت به نحوه فى افكارها قد ارتعد . لقد كانت حذرة . انه عالم شاب .. موهوب جدا .. وهى تعرف ذلك .. وقد قالوا لها جميعا يجب أن تشاهدى ستيفن كوست الشاب .. وقد اصر بيرتون هول على أن يعمل فى المشروع . ولكنها لا تشعر بأى شوق لأن تلمس يديه المتشابكتين على المائدة وهو يرتكن عليها لينظر اليها .»

وقال لها :

ــ انني سعيد لانك ستكونين معنا حيثما ذهبنا .

كانت ابتسامته صريحة رائقة ، وكانت أسنانه بيضاء . ثم اضاف :

ــ أود أن تتعرفي على زوجتي هيلين . وآمل أن تصبحا صديقتين .

وجذبت نفسا عميقا .. لا .. انها في مأمن .. ثم قالت :

ــ انني أفضل أن أعرفها أكثر .

ثم ابعدت الزهرية التي تحتوي على ورود حمراء الى جانب من المائدة . واضافت :

ــ من بين مساوىء كوني عالمة انه ليس لي الا قليل من الصديقات .

فسألها في لهفة :

ــ اخبريني .. انني جد شغوف .. كيف أصبحت عالمة ؟ انه شيء غير عادي بالنسبة لامرأة أن ..

ــ يبدو كذلك .

وسقطت من احدى الورود بعض اوراقها . وسحقتها بين أصابعها ولكن لم يكن لها اريج.

واستطردت تحكي قصتها :

ــ لقد ترعرعت في الهند .. كان ابي مهندسا هناك يعمل في القوة الهيدروليكية . وذهبت الى مدرسة انجليزية ولكن مدرسي المفضل كان شابا انجليزيا هنديا قدم لتوه من اكسفورد ، وكان يدرس لنا العلوم . واعتقد أنني كنت ذات دالة عليه . وكانت معظم الفتيات كذلك .. ولكن هذا على الاقل جعلني أعمل بجد من أجله . وفجأة تبينت انني احببت العلوم بغض النظر عنه . وانتهى بي هذا الأمر الى دراسة الطبيعيات . ودرستها في « رادكليف » ، وبعد ذلك مع « فيرمي » في كولومبيا . وقد كان هو وبيرتون هول

صديقين .. واستعارني بيرتون هول لكي اعمل في المشروع هنا في شيكاغو .. حكاية بسيطة كما ترى .
فقال :
ـ انني ارى انك لست بسيطة .
وابتسمت له في حياء وقالت :
ـ كلنا كذلك .. اذا اعتبرته نفسي في الاخوة النبيلة .
وفجأة احمر ستيفن خجلاً وهو يقول معترفا :
ـ اننا اصحاب عقلية منفردة . اتعرفين ماذا فعلت هذا الصباح ؟ لقد كنت افكر في معادلة عندما كنت ارتدي ملابسي ونسيت كلية اين انا .. وهبطت الدرج ، وتناولت فطوري ، لم شكرت زوجتي على هذه الوجبة الطيبة وقد انطبع في ذهني انني سوف افطر في مكان ما . ومن حسن الحظ انها فهمت كل شيء .
وشاركته ضحكته وشعرت بغصة ، الزوجة التي تفهم كل شيء ، ثم قالت في هدوء وجد :
ـ انك محظوظ .. فان كل النساء لا يستطعن ذلك . وليس هذا من اليسير مالم يرتبط الواحد الى الجماعة التي حوله .
وقال ستيفن :
ـ انك اول امرأة عالمة اقابلها في حياتي .. فهل انت تختلفين عنا لانك مجرد امرأة ؟ وهل يهم الجنس الى هذه الدرجة حتى في العلم ؟ .
فاجابت :
ـ سوف اترك لك هذا الامر لتكتشفه .
ورأت في عينيه اعجابا حذرا فابتسمت له على غير ارادتها
وظهر الجرسون ومعه الطعام .. وبدآ ياكلان .. وفجأة قال ستيفن
ـ شيء واحد يضايقني .
ـ ما هو ؟ .

ـ التى تقصد السماح باستخدام هذه ... هذه الاكتشـافات الذرية ..

ـ اعرف .. لا داعى لأن تذكر الـكلمة كلها .

ـ فى الحرب .

ـ هل انت من دعاة السلم ؟

ـ لا لست كذلك .. وهذا هو الشيء الغـريب . انتى فى الحقيقة واقعى . لقد تعلمت الملاكمة فى يوم من الايام فى السر .

اكان ابى من رجال الدين . انتى لا اريد لهذه القوة الجـديدة ان تستخدم فى الدمار الوحشي . انتى أريد أن اخصص نصيبى فيها للتنوير ولخير البشرية .

ـ ولكن لم تخش ان تقول انك تريد الخير ولا تريد الشر ؟.

فتمتم قائلا وهو يهجم على قطعة اللحم المشـوى أمامه مرة اخرى :

ـ تبدو شيئا كبيرا طنانا .

ـ ليست شيئا طنانا .. انها امانة .

ـ اعتقد انك على حق . ولكننا هنا فى امريكا نخجل اذا بدونا اننا نعمل الخير ..

ان هناك كثيرين من المدعين .

ـ لست مدعية .. وانت تعرف ذلك . وهكـذا الحال بالنسبة لى .

ومرة اخرى زحف الدفء الخطير على قلبها . وتطلع اليهـا ستيفن وعندما تلاقت عيناها بعينيه تاه عقلها .. وقالت :

ـ لا ادرى كيف اقول لك ماذا يعنى أن يجد الانسـان فى شخص مثلك ـ عالما ـ ويدعو للخير .. ويجرؤ أن يقول ما يشعر به كانسـان .

وشعرت انها تحدثت كثيرا .. وشعر ستيفن بالخجل . وقال :

ـ ليس هذا نادرا جدا كما تعتقدين .

وسكتت ليستقر الصمت بينهما كستار ، ويجب عليه هو أن يقوم بالخطوة التالية .. فسألها بعد لحظة :

ـ هل قرأت تقرير «ماكميلان» و «أبلسون» ؟ ..

فقـالت :

ـ نعم .. العنصر ٩٣ ولكن الشيء المهم هو أن هذا الاكتشاف واحد من سلسلة الاكتشافات .. لسوف نكشف عن عنصر بعد آخر في عملية سريعة من الخلق في السنوات العشر القادمة . لقد فتحنا صندوقا من الأسرار .

وشعر كل منهما بالارتياح مرة أخرى . لقد خبا الدفء والعاطفة التي تملكتها .. انها لن تقع في الحب . فشكرا لله .

وفي المساء . وفي بيته . شعر ستيفن بذنب غامض . وتفحص ما في ذاكرته عما حدث في اثناء النهار وتحول الى زوجته وقال :

ـ على فكرة .. لقد تناولت غذائي مع هذه الفتاة الجديدة

فسألته هيلين :

ـ أية فتـاة ؟ وكانت في هذه الأثناء تقطع أوراق الخس من أجل السلطة .. وهذه مهمة بسيطة تمقتها كثيرا ..

وقال ستيفن :

ـ هذه العالمة الشابة ..

فتمهلت قليلا ثم قالت :

ـ تذكرت .. ولكن ماذا تناولت في الغذاء ؟ ..

فأجاب :

ـ لحم مشوى ..

فدارت حوله وقالت :

ـ كيف تجرؤ على ذلك ؟ انك تعرف انني دائما أعد اللحم المشوى يوم الأربعاء للعشاء .. حتى يقويك بقية الأسبوع ..

ونظر اليها ببلاهة وقال :

ـ هل اليوم هو يوم الأربعاء ؟ .

فدقت بقدمها اليمنى على الأرض وقالت :

ـ بالطبع .. يوم الأربعاء ..

فقال ستيفن :

ـ يا الهى .. مرتان فى يوم واحد اتصرف فيهما كالابله .

ثم اخرجت الشواء وقربته منه حتى يشمه ثم ابعدته .. وقالت :

ـ لن ناكله ، ولن اصنع السلطة .. يجب أن نتعشى « عجة » ببعض البطاطس المتبقية . وآمل ان تصبح بدينا وقبيحا حتى لا تتطلع اليك اية فتاة .

واخذ ستيفن يفكر .. ان النساء يجب ان يكن فى حالة انفصال عن الرجال مثل العناصر فى المعمل . فهذه العناصر ـ وهى منفصلة ـ تكون عبارة عن كتلة آمنة يمكن التحكم فيها ، ولكن عندما تمتزج تحدث انفجارا . ولكن هل جين ايرل امراة فقط ؟ ربما من الافضل ان ينظر اليها على انها كتلة معروفة ، عالمة تقية ان لم تكن بسيطة . وفجاة شم رائحة البيض المحترق واستمر يداعب زوجته ويهدىء منها .

وفى المكتب الصغير بجوار المعمل ، واجـه بيرتون هول هؤلاء العلماء الأجانب . وسالهم :

ـ ماذا استطيع ان افعل لـكم ايها السادة ؟ .

ونظر كل منهم الى الآخر ، وكل منهم يحاول أن يتجنب الرد على سؤاله .. ولـكن « وينر » استطاع فى النهاية ان يكسر هذا التردد ويقول :

ـ اننا نعرف مدى انشغالك .. ولقد جئنا اليك ونحن نتردد كثيرا .. ولـكننا نعرف ايضا نفوذك الـكبير فى واشنطن .. فلو تفضلت واتصلت بالرئيس ..

وكان يعرف ماذا يريدون .. انهم اكثر النـاس تصميما .. واكثرهم صلابة . وقال :

ـ أيها السادة .. اننى لا استطيع ان اسـير الى مـكتب الرئيس ..

وقاطعه زيجنى قائلا :

ـ لا .. لا .. اننا لا نطلب ذلك . وربما يجب أن تذهب أولا الى العسكريين !.

فقال بيرلون :

ـ اننى كعالم . لاصلة لى بالعسكريين .. انها مسالة كرامة بالنسبة لنا .

فتدخل زيجنى يقول :

ـ انك اذا كتبت خطابا فسوف أطلب من فيرمى أن ياخذه بنفسه .

فقال فى قوة :

ـ ان فيرمى ليس فى حاجة الى خطاب منى .. ان كل واحد يعرفه .

ثم أنه وقد شعر بالضيق وافق على ان يكتب الخطاب ونادى سكرتيرته واخذ يملى عليها صيغة الخطاب :

ـ ان احتمال التفاعل فى الطاقة النووية مؤكد الآن . ولكن بقيت التجربة فقط حتى يمكن التحكم فيها قبل أن نصنع القنبلة الذرية .

ثم وجه كلامه الى السكرتيرة :

ـ لا .. لا .. اشطبى ذلك واكتبى « اذا استخدم اليورانيوم كمتفجر فسوف يفجر طاقة فى الرطل تعادل ملايين المرات الطاقة التى يفجرها اى متفجر معروف .. واشعر انه بينما تقف كل الاحتمالات فى معارضة ذلك ..

وهنا نهض زيجنى ليقول :

ـ لا . ان الاحتمالات ليست ضد ذلك . اننا نعلم ان جوليوت كورى فى فرنسا وكذلك العلماء الالمان يعملون فى انشطار نواة الذرة حاليا .

ونظر بيرلون الى سكرتيرته وقال :

ـ أين كنت .. ثم اخذ يكمل الخطاب وامرها ان تنسخه على

الآلة الكاتبة .. ثم تحول ، بعد أن خرجت السكرتيرة ، الى ضيوفه وقال :

ـ هـل قرأتم ما كتبـه ماير « وانج » فى العدد الأخير من « فيزيكال ريفيو » ؟ »

وأومأ الجميع . ثم قال زيجنى !

ـ نيوترونات متأخرة .

والبرى على الفور بيرتون هول يقول !

ـ هذا يعنى أن أمامنا حدا للتحكم قبل الانفجار .»

وصفق « وينر » فى هدوء وأضاف :

ـ بالضـبط .. ولنأمل أن يكون النازيون لم يكتشفوا ذلك أيضـا ..»

فتأوه زيجنى وقال !

ـ يالسخف مثل هذا الأمل .»

وبعد ذلك بثلاثة أسابيع وافق بيرتون هول على ما قالوه .. لقد وصل ضمن بريد الصباح رد من واشنطن يقول :

ـ اننا نقدر اهتمامكم بقضية العلوم الذرية .. ولكن ..

وفى حالة من الغضب والهياج قفز بيرتون هول من فوق كرسيه وأخذ يسير فى القاعة .. والخطاب المفتوح يتطاير فى يده ، ليجد ستيفن فى المعمل . وصرخ فى وجهه :

ـ استمع الى ذلك ..»

وأخذ يقرأ الخطاب فى صوت مزمجر ، وكان يهدأ فى بعض الفقرات ليركز على كل مقطع وبعد ذلك مزق الخطاب .. والقى بنفسه على كرسى عال فى المعمل وتنهد وهو يقول :

ـ ان هؤلاء العلماء الأجانب على حق .. انهم على حق دائما .»

ثم سأل ستيفن فى عصبية :

ـ اتعرف ماذا قال الأدميرال فى واشنطن ؟ »

فقال ستيفن :

ـ كيف أعرف وانت لم تبلغنى بشىء ؟»

فقال بيرتون ؟

ـ لقد ابلغ فيرمى .. انريكو فيرمى العظيم .. ويمكن أن أقول انه أعظم من اينشتين فى بعض الوجوه ـ فى الطرق العملية ـ اى فى العلم التطبيقى . فهو ميكانيكى من الدرجـة الأولى وهو ايضا عبقرية علمية . فهو يسـتطيع ان يصنـع الادوات التى يحتاجها عنـدما يريد ذلك ـ وهو يعـرف ما يريد تماما .. لقد أوضـح فيرمى لهؤلاء الحمقى انه من الممكن الحصول على الطاقة الذرية من الانقسام بالنيوترونات البطيئـة ، ويمكن أن نصـنع قنبلـة ذرية بالنيوترونات السريعة .. وقـد قال هؤلاء لفيرمى ان الحرب تمضى على ما يرام ، وعلى اية حال فان هـذه الاسلحة العملية الجديدة لا يمكن الحصول عليها فى حينها . اننا نتوقع النصر قبل مضى فترة طويلة ـ كما لو أن النازيين لا يصنعون الخطط لنسفنا جميعا فى ظهيرة الغد أن أمكن ذلك .

ودق التليفون واختطف بيرتون هول السماعة . وكان صوت ريجنى يتردد عبر الاسلاك .. واجفل قليلا ثم ابعد السماعة مسافة ثلاث بوصات عن أذنه .. ثم سمعه يقول :

ـ نعم . أعرف .. وماذا استطيع أن افعل . اذهب مباشرة الى الرئيس ولكن كيف ؟. ان حوله كثيرون .. وجميع الاقطاب فى واشنطن أو تمبكتو .. وهم يعرفون فقط ما يبلغون به . ربما . قد يكون اينشتين . ولـكن دعه يبلغ الرئيس ان الانقسـام لن يسير فحسب سفنه الكبيرة ولكن هذا الانقسام سوف يصنع القنابل .. والقنابل الرهيبة . فقنبلة واحدة يمكن أن تنســف ميناء نيويورك وأبلغه ان النازيين يعرفون ذلك . أو اكتب كل هـذا فى خطاب .. فى شىء يقـراه .. انه لا يسـتمع الى صوت اى انسان سوى صوته هو .

والقى بسماعة التليفون ثم تأوه بصوت عال وهو يقول :

ـ ويجئني مرة أخرى . يريد أن يذهب اينشتين مباشرة الى البيت الابيض . وانت تعرف أن اينشتين يتحدث برقة بالغة حتى انه لا يمكن ان يذهب بشخصه . وبالاضافة الى ذلك فان انجليزيته غريبة . ان الانسان يحب ان يستمع الى لهجته بدلا من ان يستمع الى ما يقوله . ومن الافضل ان يكتب كل مايريد . يا الهي .. بالضخامة الاموال التى لابد منها لانجاز هذا كله .

وساله ستيفن :

ـ من اين ستأتى هذه الاموال ؟.

فرد عليه بيرتون :

ـ ممن ستأتى سوى من الحكومة ؟ فليس هناك من لديه ما نريده من اموال ..

فقال ستيفن الذى يحترم المال ولكنه يحاول ان يتجاهل ذلك :

ـ تعنى ملايين الدولارات ؟.

فاجاب بيرتون هول فى غيظ :

ـ بل بلايين الدولارات .

وساد بعض الصمت الذى قطعه ستيفن بقوله :

ـ لا استطيع ان أفكر فى بلايين الدولارات .. فقط افكر فى بلايين الدرات ..

فرد عليه بيرتون فى عدم اهتمام :

ـ نفس الشىء .

ثم نظر الى ساعته وأضاف :

ـ لقد حان وقت العشاء .. ان مولى تنتظرنى .

ثم انزلق من فوق الكرسى ، وسار خارج المعمل .. وانغمس ستيفن يفكر لمدة خمس عشرة دقيقةكاملة ، واخرجه من هذا التفكير فجاة فتح الباب الذى يؤدى الى المعمل المجاور ، ودفع راسه . كانت « جين ايرل » تقف هنالك فى معطفها الأبيض . وواجهت عينيه المحملقتين ثم تراجعت الى الوراء واغلقت الباب برقة . ومع ذلك تبعثرت الكاره ونهض واخذ يبحث عن حقيبته .. وتوقف

ليتفحص رغبـــة مباغتة اكتشفها فى تلك المنـــاطق التى نادرا ما يكتشفها داخـــل نفسه ، رغبة مبـاغتة فى أن يفتح البـــاب مرة أخرى ٠

وهز رأسه وقال لنفسه انه من الأفضـــل ألا يفعل ٠٠ ولكن لم تعمل هنا فى المعمل المجاور لمعمله ؟ ٠ ومن امرها بذلك ؟ ٠

ووراء الباب المغلق كانت جين ايرل تواصل تجربتها الجديدة ، ظلت تعمل طيلة ساعتين كاملتين ثم سجلت النتيجة فى مـذكرة بخطها الصغير المنمق ٠ وقالت لنفسها « يبدو واضحا ان سنيبورج وماكميلان وكنيدى و « وال » على حق ٠ ومن المحتمل أن يكون البلوتونيوم هو المادة التالية للتجربة ٠

واغلقت المذكرة ، وخلعت معطفها القطنى الابيض الطويل وأخذت تمشط شعرها ٠ ثم خرجت لتناول الغداء ٠ وتركت المطعم الذى قابلت فيه ستيفن وذهبت الى مكان آخر وجلست فى الـكرسى الخالى الوحيد وطلبت لبنا وبعض الساندوتشات ٠

انه بناء على حافز ودافع خطير طلبت أن تنقل الى معمل « ب » على رغم ـ ولتكن أمينة مع نفسها على الاقل ـ ان المفاتيح الكهربية ذات فولت أقوى من تلك التى توجـد فى المعمل الذى عينت فيه أولا ٠٠ ولكن السبب الحقيقى ، وهو مختلط بالدافع العاطفى ، هو أن ستيفن يعمل فى معمل « ا » ٠ انها تسمح لنفسها بالحمق مرة اخرى ٠ كما لو انها لم تع الدرس بمرارة فى الهند ٠ فالعيون السوداء التى تطل من وجه رجل ، وجسم الرجل القوى الرشيق والعقل المتألق الذى يتحدث بلغة تدركها وتفهمها ، كل هذه الاشياء اقسمت هى أن تقاومها فى الهند وفى أى مكان آخر فى العـالم ٠ وبينما هى تذكر ذلك فى غضب فتحت الباب ورأت ستيفن كوست وبسرعة اغلقت الباب مرة اخرى ٠

وهمست من بين أسنانها ٠ التى لحمقاء ٠ ولكن هل هى حمقاء لأنها فتحت الباب أم لأنها اغلقته مرةأخرى ؟ وقالت لنفسها لا داعى للسؤال ومن ثم لا داعى للاجابة ٠

وتغلبت على الكارها العنيفة وطردتها كما تطرد أعداءها ثم

عادت الى اصدقائها العاديين ، الذرات ، هذه الوحدات التى لا ترى ولا يمكن رؤيتها من وحدات الحياة ، والتى بكمياتها الهائلة وطاقاتها اوجدت الكون . لقد اصبحت مخلوقات حية فى خيالها ، كل منها يحتوى على عالمها كاملا داخل نفسها . وقد اصبح واضحا الآن انها اذا تحركت وهى متحدة تجاه نقطة انفجار حرارية ، فسوف تخرج منها قوة لم تعرف من قبل . انه التفاعل المتسلسل .. ان النيوترونات السريعة سهلة ولكن عندما لايمكن التحكم فيها فانها تنسف الكرة الارضية كلها . لابد ان يكون هناك تحكم فيها وسيطرة عليها . وترددت هذه الكلمة فى اغوار عقلها كقرع الاجراس .

وفى طريقها الى خارج المطعم اشترت احدى الصحف . واسترعت انتباهها العناوين ووقفت عند الباب تقرأ « واشنطن فى ٢٤ ابريل — ان علماء العالم فى سباق دولى اليوم لحل لغز سوف يسفر عنه انفجار تعادل قوته مائة مليون مرة قوة .ت.ن.ت . او اى متفجر آخر معروف . واى حل سريع للمشكلة قد يؤدى الى النصر فى الحرب . والمعروف ان علماء الطبيعة فى بريطانيا وفرنسا والمانيا يعملون جاهدين لحل هذه المشكلة . وكذلك يفعل علماء الطبيعة فى الولايات المتحدة ومن حسن الحظ ان علماء الطبيعة الامريكيين فى المقدمة . والمتفجر الجديد الذى قد يكون ايضا الرد على السعى الى انطلاق الطاقة الذرية وتحررها انما يتعلق بالنظائر المشعة لليورانيوم . فاقل من واحد فى المائة من عينة من اليورانيوم العادى يحتوى على هذه النظائر . والنجاح الذى تحقق حتى الآن حدث فى جامعة كولومبيا حيث ترقد على شريحة من الزجاج كمية صغيرة جدا لا يمكن ان تراها العين المجردة » .. ثم طوت الصحيفة ومضت فى طريقها وحدها .

قال بيرتون هول :

ــ ان ما يجب أن نتذكره يا ستيفن هو الفرق بين فكرة الالمان عن التقدم وبين فكرتنا ..

فرد عليه ستيفن قائلا :

ـ فكرة قريبة من التقدم . الدمار التام . ولا استطيع أن أقول اننا افضل منهم ، فالخطط التى نضعها والاهداف التى نرمى اليها تتشكل كلها لتخلق سلاحا يستهدف افناء البشرية .

كان كل منهما قد قابل الآخر على قمة الدرجات الرخامية لسلم الجامعة حيث ذهب كل منهما بمفرده ليستمع الى محاضرة « انريكو فرمى » عن الأشعة الكونية . وكان بيرتون هول قد قال لستيفن فى أسف :

ـ ما يزال هذا الرجل الصغير يعرف أكثر من أى واحد منا ».
وأجاب ستيفن :

ـ انى لأعجب هل يعرف كيف يمكن أن يحدث التفاعل الذرى ».
واقترح بيرتون هول « لم لا نسأله ؟ ». فقال ستيفن :

ـ لو كان على استعداد فاعتقد انه سوف يقول ».

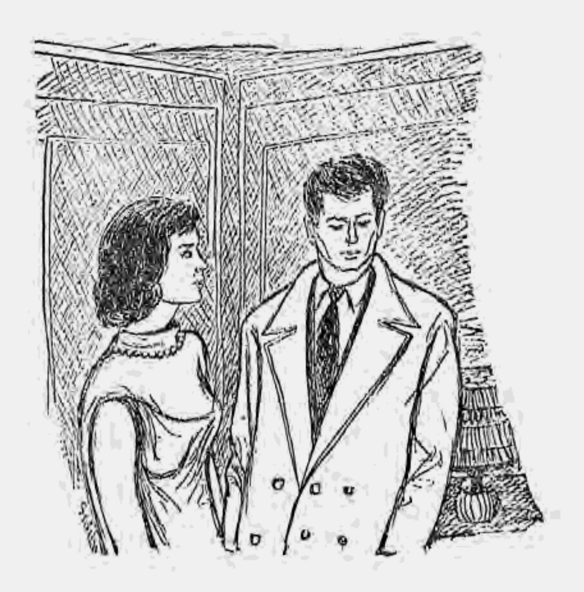
ومن هذا الحديث المتقطع وصلا الى السلاح ذاته . وجال فى فكر بيرتون هول احتمال ان يكتشف النازيون السر . وقال ستيفن :

ـ اذا حصلوا على السلاح فسوف يستخدمونه فى خلال شهور قليلة ، ولتكن اربعة شهور ، وفى هذه الحالة سوف يتخلى بقية العالم من كل أمل .

فقال بيرتون هول :

ـ لاتزع .. وسارا معا فوق الأرض المليئة بالحشائش الخضراء بين الأشجار الظليلة التي كانت تتسلل بينها أشعة الشمس ثم واصل بيرتون هول حديثه :

ـ ان الهدف النهائى هو نفس الهدف ، السلام ومنتجات السلام . اننا جميعا نقدر السلام ونعرف اننا نستطيع فى ظل السلام ان نعيش فى راحة وسعادة . لذلك فان العلماء يحطمون أعداءهم ، أو أعداءهم الاقوياء على وجه الخصوص ، حتى يستطيعوا أن يتطوروا بعد ذلك ويتقدموا فى سلام وطمانينة .



وســـاله ستيفن :
ـ ونحن ..؟

فاجابه بيرتون هول قائلا :

ـ اننا معشر الامريكيين نصنع الاسلحة من أجل الدفاع لا من أجل الدمار . كذلك فنحن نريد السلام ، السلام الذى نستطيع ان نتقدم فيه ونتطور ولكننا لانستطيع ان نوجد حولنا صحراء حتى نكون فى مأمن . اننا فقط نحصل على الاسلحة وليعرف بقية العالم اننا نملك هذه الاسلحة .

وساله ســـتيفن :

ـ أتعتقد اننا لن نستخدم القنبلة ابدا ؟ »

فاجابه بيرتون هول فى صراحة :

ـ سواء استخدمنا القنبلة ام لم نستخدمها فان هذا لا يعنى اننا لانستطيع ان نصنعها . يجب أن نصنعها وبأسرع ما نستطيع .

وسارا فى صمت برهة قصيرة حتى أوشك كل منهما ان يمضى فى طريقه ثم توقف ستيفن ليقـــول :

ـ ماذا تريدنى أن أفعـــل ؟

فنظر اليه بيرتون هـــول :

ـ اريدك أن تدرس هذا الموضوع وتكتب تقريرا بذلك . أريدك أن تخبرنى هل يمكن لليورانيوم العادى أن يحدث تفـــاعلا متسلسلا هل يمكن ان تفعـــل ذلك ؟

ولم يجب ستيفن لفتـــرة ثم قال ، وهو لا يستطيع ان يرفع عينيه المتعبتين :

ـ اتعشم الا تطلب منى ان اعمل فى هذه الاسلحة .

فقال له بيرتون هـــول :

ـ اننى فى حاجة اليك فليس هناك من يجمع بين بصـــيرتك ودقتك . فالشخص الذى يستطيع ان يقيس الاشعة الكونية على عمق الفين وخمسمائة قدم تحت الارض فى احدى المناجم ويقيسها

بدقة رائعة هو شخص أريد منه أن يخبرنى ماذا يمكن أن نفعله باليورانيوم انني اعتمد عليك جدا يا ستيفن ».

ـ فقال ستيفن :

ـ سوف افعل ذلك .

ـ فرد عليه بيرتون هول قائلا :

ـ اذن لا داعى لأن اذكرك فعندما تكون على أستعداد ، يمكنك أن تكتب تقريرك .

فاوما ستيفن وسار فى طريقه . كان الليل قد اسدل ستائره على الكون وفوق البحيرة كانت السحب تتجمع فى الافق سوداء ثقيلة . ورأى من بينها وميض برق ينبعث وبعد ذلك سمع دوى الرعـــد .

وفى الساعة الرابعة من صباح الليلة ذاتها دق جرس التليفون بجوار سرير جين ايرل ثلاث مرات واستيقظت على الفور وكان على الجانب الآخر بيرتون هول وقالت وهى تمسك بسماعة التليفون :

ـ نعم يا بيرت ماذا تريد ؟ .

وسمعته يقول :

ـ انني متضايق وفى حيرة ».

فسألته

ـ ماذا حدث ؟ .

فقال لها :

ـ ان هــذا هو ما يضايقني فلا شيء يحدث وعلينا أن نتلقى اشارة المضى فى العمل من أعلى . ان هؤلاء الذين وفدوا من اوروبا على حق .

وضحكت ثم قالت له :

ـ عم مساء ..

ووضع سماعة التليفون وظل مستيقظا حتى الفجر لا يفكر فى أحد ولكن المعادلات كانت ترحف متتابعة على عقله . ان التفاعل

التسلسل ممكن والتفجير شيء لا مفر منه ولكن ماذا عن التحكم فى هذه الاسلحة . لقد سالته هذا السؤال كثيرا وقد قال لها :

ــ ان الجرافيت هو الذى يستطيع ذلك وهو أفضل من الماء الثقيل الذى يستخدمه الالمان . وقد سالها :

ــ الا يهمك أن تتسخ يديك فالجرافيت اسود مثل الفحم » .

وقد اجابته الدالة :

ــ كم مرة رايت فيها يدى متسختين ؟ » .

وضحكت حينئذ دون ان تجيب . لقد ضحت بيديها الرقيقتين الجميلتين كما ضحت بنفسها ولكن لاى شيء ؟ . لهــذا الشغف والتطلع الازلى الذى جعل منها عالما بالرغم من انها امراة . ولم تكن تعرف ابدا هل يستحق العلم هذه التضحية .

وفى يوم من ايــام سبتمبر وفى البيت الابيض كان الرئيس الكبير ينظر عبر مكتبه الى الشخص الصغير المتكور قبالته واشعل سيجارة جديدة ثم وضعها فى « مبسم » السجائر ثم وضعه فى ركن كم من فمه واخذ ينصت للصوت الخافت الذى يحدثه عن الدمار الشامل والكوارث التى لاحد لها وكان الجــو حارا وقال الرئيس للرجل الذى يجلس امامه :

ــ اخلع معطفك .

وهز الرجل الصغير راسه واخذ يعتذر للرئيس لقــد استغرقا وقتا طويلا وهو يأسف ولكن هذه التى يقولها حقائق هامة ويامل أن يتم شيء من أجلها وفى الوقت المناسب .

وحملق الرجل الذى يجلس الى المكتب وهو طويل بدين انيق الى العالم الاسمر الصغير وقال :

ــ الان كل شيء يتكون من الذرات » .

فاوما الرجل الصغير موافقا .

ــ ومم تتكون هذه الذرات ؟ .

ــ من مقذوفات كهربية يا سيدى » .

ـ وما هو الفرق بين الكهرباء والمغناطيسية ؟

ـ انهما مظهران لنفس القوة .

ومضى الحديث بينهما على هـــذا النحو وفجاة قال الرجـل الكبير :

ـ اتمنى ان اكرمك ولكن مهمتك قد تحققت وسـوف ابدأ العمـــل .

فنهض الرجل الصغير وانحنى بطريقته الاوروبية وقال بصوته الرقيق اشكرك يا سيدى ، اشكرك جدا .

ثم انحنى مرة اخرى واستدار وفتح البـاب واغلقه خلفه فى هدوء واسترخى الرجل الكبير قليلا فى كرسيه وفجاة زحف على وجهه شعور بالخوف واخرج ورقة من مكتبه واخذ يقرؤها وهو يكاد يمضغ « مبسم » سيجارته .

منذ عامين غزا الالمـان بولندا واسـتطاعت الدبابات الـكبيرة والطائرات ان تصنع لها ممرات عبر غربي بولندا الى وارسـو . وبينما كانت المعركة دائرة فى شوارع المـدينة هاجمت الدبابات الروسية ، بناء على خطـة سابقة ، من الشرق . وبعد ذلك بشهر واحد تقابل الجيشان وانقسمت بولندا الى قسمين : قسم خاص بروسيا وقسم خاص بالمانيا ! اذن كان هذا العالم على حق . ليس هناك وقت نضيعه بل ان هناك طريقا طويلا يجب ان نسير فيـــه والمشكلة هى ان نجد الرجال . دائما مشكلة الرجل المناسب للوظيفة المنـــاسبة .

لقد كان هذا العالم يتنبأ ولم يكن الرئيس يستطيع ان يمضى تحذيراته انه مضطر لأن يستمع الى هؤلاء العلماء مهما يكن ما يفعلون وتنهد الرجل الكبير ثم تحدث الى سكرتيرته قائلا

ـ قولى لهارى ان ياتى الى ، اننى اريد ان اتحدث معه او اسمعه يتحدث الى وقولى لزوجتى اننى لن احضر على العشاء .

وكانت سيجارته قد احترقت فاشعل سيجارة اخرى واخـذ ينفث دخانها فى عنف وعصبية .

في هذا الوقت كان ستيفن كوست في مكتبه الصغير ينهي تقريره الذي طلبه منه بيرتون هول وكان قد فحص المعادلات والتقديرات مرات كثيرة . ومع ذلك فان النتائج التي توصل اليها كانت ابعد من أن يولق فيها ، فالعقل يستطيع ان يتخيل ويتصور ، ولكن ومضات التبصر التي تتضح في ارقام المعادلات يجب ان تتأكد عن طريق قياس نوويات الذرات بطريقة فيزيائية وهو لايريد وليست لديه الشجاعة لأن يقيس هذه النوويات الذرية فالقوة التي مازالت تكمن داخل النواة التي لاترى في الذرة شيء يفضل الا يفكر فيه ولا يكون مسئولا عن تفجيرها واطلاقها في عالم الانسان . وجلس مكتئبا متألما امام الصفحات التي سجل فيها معادلاته بخط دقيق صغير . انه يفضل لو كان شيئا آخر غير ان يكون عالما ولكن اباه هذا الرجل الصامت من رجال الاعمال ، لم يحذره اما أمه فكانت الفخورة به عندما حصل على منحة لجامعة هارفارد لم يكن في حاجة اليها . من كان هناك يحذره من الدمار المقبل ؟؟ كان طفلا يلعب بأعواد الكبريت .

وبينما هو في افكاره هذه تردد في مسمعه صوت نسوة يمتزج بموسيقى صاخبة . ما الذي دهى هيلين حتى تقيم حفلا للنسوة فقط في ذلك اليوم من بين الأيام كلها!!ان هذا شيء لم يدركه ففي الساعة الثالثة من بعد الظهر امتلأ المنزل بالنسوة وبدلا من الهدوء الذي لابد منه وهو يعتصر عقله حتى يخرج ما فيه ويعبر عنه بمفاهيم النسبية اضطر ان يقنع اويرضى بثرثرةالنسوة في الحجرة المجاورة . ووضع القلم وقد نفد صبره . واخذ يفكر في شهر العسل وفجأة تبلورت افكاره المتناثرة على صوت هيلين الضاحك الرائق . وهي تقول :

ـ اهلا جين ، دعيني اناديك باسم جين .

فقالت المراة الأخرى ..

ـ ان كل واحد يناديني باسم جين .

وتذكر هذا الصوت الهادىء لم يسمع زوجته تواصل كلامها وتقـــول :

ـ هل تفهمين يا جين حقا نظرية اينشتين من النسبية ، لا داعى للكذب . اننا كلنا نسوة ولن تقول لأحد . كان ذلك شيئا فظيعا من هيلين . لقد برهنت على مابدأ يشك فيه هو وهو انه مهما تكن ملاطفتها وحبها الا انها قادرة ايضا على الشر والتعذيب ، تعذيب نفسها وتعذيب الآخرين ولكن من تعذب الآن ؟ أتعذب جين ام تعذب نفسها . انه لايعرف بالضبط . وكبح جماح نفسه ورغبته فى أن يقفز من فوق كرسيه ويواجهها فى حضور كل صديقاتها ولكنه بدلا من ذلك اخذ ينصت الى رد جين ودهش وهو يسمعها تضحك وعندما سمع هذا الصوت الرقيق العذب إستيقن انه لم يسمع ضحكتها من قبل .

وقالت جين :

ـ كيف استطيع ان اجيب على مثل هذا السؤال . فاذا قلت انى افهمها فسوف تكرهوننى وانا أريدكم ان تحبونى . لذلك اقول أن اينشتين قد دفع بنا الى خطوات أعمق لتفهم عالمنا وربما يكون قد القى ببعض الضوء كدليل يرشدنا الى عالم ابعد من عالمنا وامنى حسب مفاهيم الميكانيكا واحب ان أقول ايضا أن اينشتين يحاول دائما أن يبسط الروابط المعقدة لكل شىء موجود ويضعها كلها فى مجال واحد كما يسميه فالزمن والبعد والكتلة هذه هى المواد التى يستخدمها وهذه تؤدى الى كل شىء طبيعى والكتلة تعنى الوزن أو مقاومة الحركة وقد أدرك اينشتين أن النســـبية بين هذه الاشياء الثلاثة تثبت إن هذه الكتلة أو المقاومة ليست غير متغيرة كما كنا نعتقد ولكن وزنها يزداد مع ازدياد السرعة وهذا شىء نسبى للمشاهد

وتدفق الصوت الحبيب الى أن سكت فجأة وكانت نبرات صوت هيلين تداهمه مثلما يقطع السيف الحرير فقد قالت اما هيلين :

ـ انى اكاد أفهم ماتقولين، ولكن خبرينى هل تفهمين ما يفعله زوجى ؟.

وتساءل بينه وبين نفسه لم تستخدم هذه الكلمة الآن « زوجى » لقد كان دائما بالنسبة لها ستيف .

وترددت جين برهة ثم قالت :

ـ لست على يقين من أننى اعرف بالضبط ماذا يفعل فى هذه اللحظة . اننا لم نتحدث ..

يا للسماء انها تخبر هلين فى رقة بانها لم تقابل هذا الزوج فى الفترة الاخيرة والحق انه لم يقابل جين منذ شهرين كما لم يفكر فيها . واستمر ينصت ليسمع زوجته تقول :

ـ ألم تتحدثى معه حقا ؟.

ـ لم يحدث فى الفترة الأخيرة يامستر كوست .

ـ الا تنادينني باسم هيلين ؟.

ـ اذا رغبت فى ذلك .

ـ ولكن حدثينى عن هذا اليورانيوم . انى غبية .

ـ اننى على يقين من انك لست غبية .. ماذا اقول لك ؟؟

ـ اى شيء تعتقدين اننى استطيع ان افهمه .

ـ ان هناك الكثير الذى يمكن ان يقال ومع ذلك فقليلا مانعرف واعتقد ان هذا مايعكف عليه دكتور كوست .

ـ الا تنادينه باسم ستيف ؟ .

ـ لا .. ترين ان خام اليورانيوم الطبيعى كما يخرج من المناجم لا يمكن ان ينفجر بطريقة ذرية .. احدى نظائر اليورانيوم يمكن ان تنفجر وهى يورانيوم ٢٣٥ . انه شيء يشبه السحر وهو نادر من بين نظائر العناصر الاثنين والتسعين الموجودة فى الطبيعة فهذا العنصر ينشطر عندما يقذف بنيوترونات بطيئة حسب معلوماتنا حتى الآن واذا لم نستطع ان نفصل اليورانيوم ٢٣٥ بطريقة نقية فاننا لا نستطيع ان نحصل على الطاقة التى تحتاج اليها مهما يكن سبب حاجتها اليها .

فقالت هيلين :

ـ العنين الاسلحة ؟.

وعلى الفور نهض ستيفن لينقذ جين من هذه الورطة . فلم يكن هناك احد بعد على يقين من ان الاسلحة يمكن ان تصنع او يجب أن تصنع . فلكى نفجر عن طريق الانشطار جزءا من اليورانيوم فلابد ان تنقسم عديد من الذرات فى الوقت نفسه . والنيوترونات هى الحل بالطبع كما اكتشف فيرمى . فاذا ادى الانشطار نفسه الى اطلاق النيوترونات فانها يمكن ان تولد انشطارا مرة اخرى ومن لم يكون هناك تسلسل يربط الانشطار بالآخر .

لم يكن هذا حديث امرأة .

وذهب ستيفن الى حجرة المعيشة ووقف ينظر الى الجميع ورأى بينهن مولى زوجة بيرتون هول وقال لنفسه هل ستبلغ بيرتون هول بما قالته جين ام انها من الغباء بحيث انها لم تفهم ماقالت جين .؟ ووجه كلامه الى جين قائلا :

ـ هل استطيع أن اطلب كوبا من الشاى .

وتقابلت عيناه بعينى هيلين المتحديتين وفى ادب بالغ غير عادى مر على النسوة يصافح كل منهن ثم جلس اخيرا بجانب جين وقال لها :

ـ لقد انتهيت من تقريرى واذا استطعت ان تسمحى لى فاننى أحب ان اناقش معك بعض النقاط قبل أن أسلمه فقالت :

ـ بالطبـــع .

وفجأة تقابلت عيناه مع عينى هيلين المسددتين اليه ورمقها بنظرة لتحولت بعيدا عنهما . وانتصف الليل وهو مازال يتحدث الى جين وكانت هيلين قبل ذلك بساعتين قد قرعت الباب نصف المفتوح وقالت :

ـ اننى ذاهبة لانام ياستيف .

فقـــال :

ـ سوف الحق بك حالا ..

وتقدمت منهما وعلى غير توقع قبلت جين على خدها وقالت !
ـ عمى مســاء ياجين .
ـ اشــكرك ياهيلين .
ـ عــلام ؟!
ـ على القبـــلة ..
ـ انني لا اقبل الناس كثيرا .
ثم مضت هيلين فى طريقها وعاد ستيفن وجين الى حديثهما مرة اخرى كما لو أنها لم تكن بينهما منذ مدة . وقالت جين :
ـ أليس لديك اى شك الآن فى أن القنبلة يمكن ان تصنع ؟ .
ـ فأجابها . بلى .
وقضمت شفتيها وهى تقــول :
ـ ان هذا يعنى ان اية دولة تستطيع ان تدمر اية دولة أخرى .
ـ انني اخشى ذلك .
ـ هل نستطيع ان نتحكم فى المواد الخام ونشرف عليها ؟.
ـ ان هناك يورانيوم فى كل مكان . وربما يكون هناك ثوريوم أيضا وهذا بعيد عن اشرافنا .
ـ ليس هناك علم يمكن التحكم فيه . اننا نستطيع أن نحتفظ بالسر لبضعة شهور او سنين وليس أكثر من ذلك
ـ ان عقول الانســان لايمكن أن تتوقف .
فتنهدت بعمق وقــالت :
ـ اهذه نهاية البشرية ؟.
ـ انني أرفض ان أتقبل ذلك .
ـ ولكن يبدو أنك تتالم بشـــكل عميق .
ـ ان كل انسان عاقل يجب أن يكون كذلك
ـ نعــم ..
وساد الصمت بينهما لحظة وقطعته اخيرا بقولها ؟
ـ انني اشعر بانني مسئولة كامرأة . كنت أود الا اكون بمفردى هــكذا .

ـ انك فى هذه اللحظة عالمة فقط وليست المسألة فى أنك امرأة وانا رجـــل .

ـ فيما عدا انك تنتسب الى نصف الجنس البشرى وانا النصف الآخر والنصف الذى تنتمى اليه يقظ ويعمل اما النصف الذى انتمى اليه فنائم يلد الاطفال ويدير البيوت ـ الكل نائم . وبعد ذلك يلقى بالاطفال الى نيران الانفجار الذرى وتتقوض البيوت وتصير رمادا فكيف او تظهن ؟ .

وتلألأت الدموع فى عينيها لم تدحرجت فى بطء على خديها ولم يستطع ان يتحمل ان يراها تبكى بهذا الالم ولم يجرؤ على أن يربت عليها ليهدىء منها لكنه بدلا من ذلك تحدث اليها فى هـدوء ودعه قائلا :

ـ اليست هذه الدموع سابقة لأوانها ؟! ان ما تتحدث عنه قد لايحدث مطلقـا .

ـ يجب أن نجعله لايحـدث .

ونهضت ومدت اليه يدها فاحتواها بيده وشـعر بأنها دافئة ترتعش . شعر بذلك لبرهة وجيزة فقد افترقا بعد قليل ورآها وهى تركب عربتها الصغيرة .

وعندما صعد الى اعلى كانت هيلين نائمة أو هكذا اعتقد .. كانت تنام على جانبها الأيمن ولم تتحرك .. ثم انه لم يوقظها .. ورقـد بلا نوم فى سريره . ان جـين على حق . يجب الا يدع ذلك يحدث .

وفى اليوم التالى ذهب الى بيرتون هول وقال له :

ـ ها هو التقرير . لقد انتهيت منه ليـلة أمس وراجعته مع « جين ايرل » . وقد اتفقنا على أن التفاعل المتسلسل ممكن كلية . وقد يكون التفجير الذى يولده أبعد من سيطرتنا . ولكن التجربة هى التى ستحدد ذلك .

وسأله بيرتون هول :

ـ ولكن ماذا سنستخدم من ادوات لكى نخفف من ذلك ؟ .

فاجاب ستيفن :

ـ لقـد قدمت عـدة اقتراحات فى التقـرير . واعتقـد ان الجرافيت الذى قال به « فيرمى » هو افضل شيء . وهو كذلك ابسط واسهل من الماء الثقيل او اى شيء آخر . فهمهم بيرتون هول وهو يقول :

ـ مهمة دقيقة جدا ..

ولكن ستيفن قاطعه قائلا .

ـ اريد ان ابتعد عن هذا العمل ..

وحملق فيه بيرتون هول وقال :

ـ ماذا تعنى ؟ .

ـ لا أريد أى دور فى صناعة هذا السلاح ؟

ـ ومن يريد ؟ انه عمل الشيطان . ولنفترض أن آخرين قاموا بصنعه أولا . اننى أراهن على أن النازيين قد استولوا على النرويج بسبب ما يوجد من الماء الثقيل هناك . اننى لا استطيع أن أجلس وأرى بلادى وهى تتحطم وتنسف .

ـ ان كل انسان يجب أن يقرر مصير نفسه .

ـ ليس اليوم .

والقى بيرتون هول بالتقرير جانبا ثم قال :

ـ اننا نعيش أو نموت معا .

ولم يجب ستيفن كوست . وجلس واسترخى بجسمه النحيل على الكرسى فى مواجهة النافذة واخذ يراقب الطلبة وهم يمرحون فى حرم الجامعة . كانوا فرحين بيومهم الجميل والرياح البـاردة تلهب خدودهم كما كانت شعور الفتيات تتطاير فى الهواء . ان هذا شيء غير حقيقى ولكن ما هو الشيء الأقل حقيقة ، تلك الأجسام الهشة من لحم ودم والتى تموت بسرعة ام هذه الطاقة الكامنة فى جزىء صغير جدا لا يمكن ان تراه العين ؟ . ثم انه أردف يقول :

ـ لن أرتبط بهذا المشروع .

وعلى الفور انفجر بيرتون هول يقول :

ـ انك تدعو نفسك عالما ، فهل تعتبر أن هـــذا القرار الذى تتخذه بعدم اشتراكك فى صنع هذا السلاح سوف يحول دون ان يصنع بل وان يستخدم ايضا .

فاجابه ستيفن :

ـ على الأقل لن اكون مسئولا .

وحينئذ كشر بيرتون هول من اسنانه ولمجر قائلا :

ـ انك مسئول فاذا سقطت القنبلة علينا اولا قبل ان تستطيع ان تسقطها على العدو فسوف تلام . انكم انتم تجار الحروب الحقيقيون ، انتم معشر دعاة السلم . انكم تجار حروب وانهزاميون ايضا .

ولم يزد عليه ستيفن كوســت ونهض واقفا واخــذ قبعته وترك الحجرة .

فى تلك الليلة وعندما عاد الى بيته قبل زوجته قبلة قصــيرة وهى تعمـــل فى المطبخ وقد كانت تصنع العشاء كانت خدودها ساخنة وحمراء ، أما مزاجها فلم يكن عاديا بالمرة وسمع زوجته تقول فى شبه شكوى :

ـ عندما افكر فى المطبخ الكبــير الجميل فى البيت الذى لن املكه ابدا ، اتعجب لماذا تزوجت عالما ؟ .

فأجاب ستيفن بقوله :

وانا اتعجب ايضا لم اصبحت عالما ؟ .

لم انتظر حتى تساله عن احواله ولـكنها كانت مشغولة فى الكعكة التى تعدها فى الفرن التى احرقت اصــابعها وهى تجرها من الفرن وحينئذ قرر ان الوقت غير مناسب للحديث عن التفجير الذرى . ثم سألها عن موعد اعداد العشاء واجابته بانه يجب ان ينتظر نصف ساعة والا يتحدث معها مرة اخرى لأنها متعبة فذهب الى مكتبه وهناك جلس وهو يضع راسه بين يديه واعماقه تتمزق ؟ ثم تذكر قولا مأثورا كان يردده ابوه كثيرا لقد كان يقول دائما : « ان الصينيين يعرفون الانسان اكثر مما نعرفه فهم يقولون ان كلا

منا فى اعماقه ثلاثة ارواح وسبعة من الشياطين وكلها فى حرب مستمرة » وكان يسأل اباه قائلا : « ثلاثة ضد سبعة اليست النتيجة معروفة » . فكان يجيبه بقوله : « من يعرف مدى قوة الروح ؟ . ان النسبة قد تكون صحيحة » .

وبحافز فى اعماقه قام الى التليفون وطلب جين ايرل وشعر برهبة الى حد ما وهو يتذكر رقم تليفونها دون ان يكتبه فى مفكرته ولم يستطع ان يتذكر اين سمع رقم تليفونها ولكنه يعرفه فهو محفور فى ذاكرته .

ـ جين ؟

ـ نعم يا ستيفن .

ـ انى لسعيد لأن تناديني هكذا . لقد كنت اريد ان اطلب منك ذلك .

فقالت فى هدوء :

ـ ان هذا شيء طبيعى .

ـ لقد قدمت تقريرى الى بيرتون هول اليوم وأبلغته انى لا اريد ان استمر فى هذا المشروع . لسوف افعل اى شيء اخر فى مجال البحث ولكننى لن أعمل فى هذه المهمة .

ـ انى لسعيدة لذلك وهذا يعنى ان هناك اثنين منا .

وسمعها وهى تضع السماعة برفق ثم ساد الصمت .

وبعد منتصف الليل بفترة طويلة نهض بيرتون هول وجمع قصاصات الورق التى كان يسجل عليها بعض المعادلات والملاحظات . وكان قد اكمل اول خطوة لأى مشروع قد يتعهد به وكان قد جلس وحده فى هذه الغرفة غير المرتبة التى يسميها مكتبته واستطاع ان يخرج بمشروع من عنده هو وكانت الخطوة التالية ان يبحث عن زوجته حيثما كانت ويوقظها ان كانت نائمة ويتحدث اليها . انها فى هذه الساعة لابد ان تكون نائمة فى السرير الكبير العتيق الذى شاركها اياه منذ ثلاث وعشرين سنة وتنهد وهو يصعد الدرج وقال فى نفسه « النوم ! » متى يستطيع ان ينام مرة اخرى دون أن تداهمه الأحلام

المزعجة ؟ انه يقف على أعتاب معركة رهيبة لا يمكن أن يتراجع عنها .
وأضاء النور فى القاعة العليا وفتح باب حجرة النوم وكانت زوجته نائمة وكان المصباح بجوار السرير مضاء فوضع أوراقه على المنضدة بجوار المصباح وخلع ملابسه فى صمت وشعر بأنه فى حاجة الى دش ساخن يريحه وخمس دقائق من التمرينات الرياضية ولكن الفرص لا تسمح بالعناية بصحته الآن وزحف بجوارها على السرير وأخذ يوقظها وطلب منها أن تصحو لأنه يريد أن يتحدث اليها ومال عليها وقبل وجنتها وقال لنفسه يا لها من امرأة تعيسة اذ تزوجتنى . ثم وجدها تفتح عينيها بصعوبة فمضى يتكلم :
ـ اننى اعرف الأشعة الكونية وكل هذه الأشياء بل استطيع ان أمضى أكثر من ذلك واقول اننى اعرف قدرا كبيرا من امكانيات تقسيم الذرة ـ ليس مثل فيرمى العملاق الصغير ـ ولكنى اعرف ما يكفى لأن أتحدث معه وأعرف ما يحدثنى عنه واننى لا اعرف ماذا يفعل الآن فى محاولته لاحداث التفاعل المتسلسل ولكن يجب على ان اقوم بمهمة لابد فيها من علماء كبار وهى مهمة على جانب كبير من السرية التى يحتمل ان تؤدى الى ان اصنع ، أو اساعد فى صنع سلاح قد ينسف العالم ومن بينه انا وانت .
وهنا تأوهت مولى بصوت عال وسألته :
ـ لكن لم تصنع هذا السلاح ؟ .
فرد عليها قائلا :
ـ لا توجهى الى أسئلة سخيفة فهل تعتقدين اننى اقدم على صنع هذا السلاح ان لم اكن مضطرا الى ذلك ؟ . ان النازيين سوف يقضون علينا ـ هذا هو السبب وأولادنا على وشك أن يلتحقوا بالجندية .
فاستيقظت مولى عند ذكر ولديها وقالت :
ـ أرجوك الا تشركهما فى ذلك اننى لا اريدهما ان يرتبطا بعلمك القديم .
فقال لها :



ـ مولى .. لا تتحدثى عن الأولاد أو أى شىء .. فقط انصتى لى .. سوف أحدثك عن الموقف كما اراه فى هذه الساعة من الليل ان لدينا عملا كبيراً وليس لدينا الوقت لنقوم به فالذى كان يمكن ان نصنعه فى القرن القادم وفى فسحة من الوقت يجب ان نفعله فى مدى خمس سنوات على الأكثر بل وفى أربع سنوات. ان لدينا فكرة باهتة عن أين تكمن أكبر طاقة فى العالم ونحن نخاف ان نطلقها لأننا لا نعرف كيف نسيطر عليها ، وهذه هى المشكلة الأولى : كيف نتحكم فيها ؟.

فتمتمت مولى وهى تقاوم النوم :

ـ التحكم فيها .

ثم واصل بيرتون هول حديثه قائلا :

ـ اذن كيف نستطيع ان نتحكم فى هذه الطاقة ؟ . ان علينا اولا ان نحصل على مفاعل نووى والمفاعل النووى يا زوجتى ليس اكثر او اقل من فرن كبير جداً .

فرمقته باحدى عينيها وقالت :

ـ فرن مثل فرن المطبخ ؟ .

ـ بالضبط ولكنه أكثر حرارة من هذا الفرن بملايين المرات حتى اننا اذا لم نستطع أن نسيطر عليها ونتحكم فيها فان كل شىء سيحترق ويظل يحترق ذلك لأن هذه الحرارة هى نفس الحرارة التى تجعل الشمس والنجوم فى مثل حرارتها ـ أى عبارة عن لهيب متصل من غاز الهليوم المحترق . فصرخت مولى وفتحت كلتا عينيها وقالت :

ـ ولكن لم تفعل مثل هذا الشىء ؟ .

فقال لها :

ـ هل يمكن أن تهدئى انه لا بد ان آتى بمن يبنى هذا المفاعل. انه لابد ان يكون معى رجال كثيرون يقومون باشياء كثيرة فى الوقت نفسه ـ اذن من الذى أستعين به لبناء هذا المفاعل ؟ ما رأيك فى

« تدباركز » ؟ أنه يعمل فى البحرية ولكننى أستطيع ان اطلبه من هناك فهذا المفاعل أكبر من اى مشروع يتعلق بالبحرية وهو يعرف الفيزياء النووية وقد عملنا معا فى اشعة اكس وهو يستمع لى ولكنه يفكر .

فقالت له مولى :

ـ وهو يكتب الشعر ايضا . وقد رايت له بعضا منه فى احدى المجلات وهو شعر جميل ولكننى لم استطع ان افهمه .

فسالها فى غضب :

ـ اذن كيف عرفت انه جميل ؟ » .

فقالت له :

ـ لقد كان وقعه جميلا عندما قرأته بصوت عال لكى ارى اذا كنت افهمه اولا ولم استطع ولكنه ما زال يبدو جميلا .

فحملق فيها ثم واصل حديثه قائلا :

ـ لا يهمنى كتابته للشعر .. والآن اين أنا ؟ .

واخذ يتفحص مذكراته ..

ـ نعم هنا .. التحكم فى الطاقة الذرية .. ان هناك يا زوجتى عدة طرق نستطيع بها أن نتحكم فى هذه القوة الرهيبة ولكننا لا نعرف ما هى افضل وسيلة للتحكم . فمثلا هناك البيريليوم او الكربون وكل منهما يخفف من الانفجار الذرى ولكن البيريليوم نادر جدا ولا اعرف من اين نأتى بما يكفينا منه اما الكربون فخطير انتى أكاد أجن فاللجنة فى واشنطون تعمل منذ عام ونصف فى فصل اليورانيوم وتحاول أن تجد وسيلة للحصول على مفاعل نووى يمكن التحكم فيه ولا يعتقدون انهم سيحصلون على أى شىء لاستخدامه فى هذه الحرب ولكن يا عزيزتى سوف نضطر لاعداده من اجل هذه الحرب لان النازيين يضعون خططا كبيرة ـ ان هذا سر هل تسمعين ؟ .

فقالت زوجته وهى تبتلع تنهيدة اخرى !

ـ نعم انى منصتة .

وارتكن الى الوراء ويداه متشابكتان وراء رأسه وكانت مذكراته تتطاير على الأرض ثم قال :

ـ هل تعرفين ماذا قال لى ستيفن كوست اليوم ! لقد قال انه لا يريد أن يعمل فى هذا المشروع وقد سلمنى تقريرا يقول فيه انه متاكد ان هذا يمكن ان يتم ولكنه لا يريد أن يكون واحـــدا ممن يصنعونه ـ انه يريد أن يعمل فى أشياء لا تقتل النـاس . سوف أتركه ... لا لن أتركه انى اريد كل العقول الكبيرة التى استطيع ان احصل عليها ثم اننا لا بد أن نحصـل على ارطال وارطال من اليورانيوم ٢٣٥

وكانت زوجته قد راحت فى النوم مرة أخرى فاخذ يوقظهـا ويقول :

ـ ارجوك انصتى لى دقيقة اخرى .. لقد قال طومبسون أن تجاربه توضح اننا نستطيع أن نحصل على البلوتونيـــوم من اليورانيوم ٢٣٥ وهذا يعنى أننا نستطيع أن نحدث وحدات من التفاعل المتسلسل من مائة رطل من هذه المادة بدلا من مائة طن من اليورانيوم الطبيعى واذا حصـــلنا على ما يكفى من البلوتونيوم فيمكننا ان نحدث تفاعلا متسلسلا بنيوترونات سريعـــة بدلا من النيوترونات البطيئة الأمر الذى يعنى اننا بمثل هـذا التفجر لن نحصل على قنبلة فحسب بل سيكون لدينا قنبلة كبيرة وهــذا ما يجب ان نعمل فيه يا عزيزتى وهذا شىء واضح بالنسبة لى والآن يمكنك ان تنـامى .. ثم مال عليها وطبـع على خدها قبلة عالية واطفأ النور .

وعاد بيرتون هول مرة أخرى الى كاليفورنيـا لحضور احـدى

المؤتمرات وكان المتحدث أحد العلماء الانجليز وقال لهذا العالم « انني نوع من العنكبوت البشرى أنسج خيوطى عبر البلاد كلها ، كنت فى نيويورك فى الأسبوع الماضى ثم ذهبت الى شيكاغو وبعد ذلك الى واشنطن وأنا هنا لاقابلك • ولم يكن الزملاء فى واشنطن يريدوننى ان اركب الطائرة مرة اخرى • فهناك فكرة تعلق فى أذهانهم باننى شيء مهم وقد هددونى بانهم سيركبوننى القطار ومعى بعض الحرس ••

فأجابه العالم الانجليزى :

ـ انهم على حق •

واستقر بيرتون هول فى كرسيه الخشبى غير المريح ليستمع الى هذا العالم المشهور ولكنه بدلا من هذا اخذ يفكر فى خططه السرية ، ان خيوط العنكبوت يجب أن تنسج الى ابعد من بلد واحدة ويجب على العلم أن يركز نفسه وان يركز على مشروع عسكرى واحد • ان قنبلة البلوتونيوم يجب أن تصنع • غريب حقا أن تصبح الأحلام حقيقة طالما ان هناك وقتا وضرورة وقد ضيع رجال الكيمياء فى العصور السابقة حياتهم وهم يحاولون صنع الذهب من المعادن الدنيا • والآن اصبح تحويل المادة شيئا ممكنا ولكن ليس بالنسبة للذهب فالضرورة هنا هى الحياة نفسها والشيء الملح هو الحرب المحتملة •

وتتابعت المكاره واخذ يغالب النوم فقد كان الهواء فى قاعة المؤتمر دافئا وهادئا ولم يكن قد اخذ قسطه من النوم منذ الليلة الماضية بل ان القهوة قد فقدت تاثيرها ومفعولها ولم يجرؤ على محاولة تعاطى المنبهات التى يستخدمها طلبة الجامعة ولم يكن يستطيع ان يستخف باى شيء فالحقيقة داكنة ولا بد ان يعرف ما يقوله هذا العالم الانجليزى وقد كان الرادار هو أكثر التطورات العلمية اهمية حتى ذلك الحين بالنسبة للحرب • ولا أحد يعرف كم من الأرواح البريطانية انقذها استخدام الرادار فقد كان يعلن

عن الغارات النازية فى وقتها حتى تستطيع الطائرات المقاتلة الانجليزية أن تواجه هجمات العدو . وما الذى كان يمكن أن يحذرهم لو لم يوجد الرادار وجاء صوت العالم الانجليزى يقول :

ـ لقد قمنا بقياس النيوترونات السريعة وهى تمر عبر اليورانيوم ٢٣٥ ووجدنا أن الكمية المطلوبة للتفاعل المتسلسل أصغر بكثير مما كنا نعتقد فى أول الأمر ونحن على يقين الآن من أن القنبلة يمكن أن تصنع بالبلوتونيوم الناتج عن ذلك .

وقال «تدباركز» الذى كان يجلس الى جوار بيرتون هول :

ـ اتذكر فيرمى .. ان كل شىء قاله يؤكد ما سمعناه الآن فكل ما نحتاج اليه أقل من مائة رطل من البلوتونيوم .

فاومأ بيرتون هول علامة الموافقة فقد اشتملت مشروعاته فى الأسبوعين الأخيرين على الاستعانة بالعالم «فيرمى» و «ويتر» العالم المجرى الكبير .

فى ذلك اليوم ظل يستمع الى ويتر وهو يحكى له ، بينما عبراته تنهمر ، من النازيين وما فعلوه فى بلاده ، كان يتمزق من الفزع وهو يتكلم وهو يذكر الجو الذى هرب منه تاركا وراءه كل انسان أحبه وقال :

ـ لقد قال لى أبى عندما رفضت أن اهرب : يجب أن تغادر البلاد ، ان فى عقولكم شيئا يمكن أن يساعد فى انقاذ بقية العالم ، اذهب الى أمريكا ، وأخبرهم بكل شىء .

ثم حاول ان يبتسم وواصل حديثه :

ـ اعذرنى .. اننى لا استطيع أن انسى وهذا هو السبب فى اننى اقول اننا يجب ان نمضى بسرعة فى صنع هذه القنبلة حتى نكون مستعدين للحرب ..

فقال بيرتون هول :

ـ رُبما لا نضطر الى استخدامها اذا حصلنا عليها »
فأجابه وينر :
ـ اننا لا نقــرر ذلك الآن ولــكن اذا اضطررنا فســوف نستخدمها .
ومن كاليفورنيا طار مرة أخرى الى شيكاغو ودعا رجاله وبعد ثلاثة أيام من التخطيط والمناقشات جلسوا جميعا يتفقون أخيرا على ان البلوتونيوم يمكن أن يصنع ـ ولكن بأموال كثيرة وبمصنع كبير ـ اذا خصص للمعدن الذى تحتاجه القنبلة . ووقف أحد العلماء البولنديين وهو خبير فى المتفجرات ليقول :
ـ اننا نستطيع أن تصنع قنبلة ذرية صغيرة فى احدى الطائرات ونوفر الطائرات الكثيرة التى تحمل عادة القنابل الحارقة التى تقوم دائما بعمليات الاتلاف وبهذه القنبلة الواحدة نستطيع أن نحدث من التلف والخسائر ما تحدثه هذه القنابل الحارقة جميعا .
وانفض الاجتماع وانتهى العالم الانجليزى ممــا كان يريد أن يقوله واتجه نحوه العلماء لا ليصفقوا له أو ليتعارضوا معه ولكنهم كانوا يعانون من قلق خطير ولم ينهض بيرتون هول من مقعــده فقد طفت مشكلة من أعماق عقله المضطرب فالطاقة التى تولد من الانشطار فى رطل واحد من البلوتونيوم تعادل نحو عشرة آلاف رطل من مادة ت٠ن٠ت٠ ولكن لنفترض أن القنبلة فجرت نفسها قبل أن تستخدم ماذا عن ضغط الغاز والحرارات الخاصة فمن ذا الذى يعرف قوى القصور الذاتى وانتقال الاشعاعات والجزيئــات عبر المعدن نفسه . كيف يمكن الاجابة على مثل هذه الأسئلة أو حتى حسابها ؟. من ذا الذى يعرف أى شىء ؟. ونهض فى صمت وسار على مهل انه مضطر لأن يكون وحده فى مكان ما لمدة ساعات بعيدا عن صوت أى انسان بعيدا عن هذا العالم الصغير وقريبــا من النجوم مرة أخرى .
ومضى بيرتون هول الى حيث التليسكوب الضخم الذى يربض

على قمة جبل مرتفع ومن هناك استطاع ان يتبين رقعة من الأرض فسيحة فى وادى ريوجراند حيث استقر رايه على ان هذا هو المكان الذى يبحث عنه بعيدا عن الطرق وبعيدا عن المدن وبعيدا عن الناس . فهنا فى أمان وسرية تامة يمكن أن تصنع التجربة الكبيرة .

قال ستيفن كوست لجين :

ـ لقد انتهى يوم آخر وحان الوقت لأن نتوقف . لقد كتبنا الكثير من التفاصيل ، ان هناك أربع طرق يمكن أن يصنع بها هذا الشيء . اننا فى حاجة منها الى بضع مئات من الأرطال ويجب أن نتذكر ذلك فالألمان يستخدمون طريقة الانتشار الحرارى وهذه طريقة باهظة التكاليف اذا كانت تقارير الأبحاث التى تجريها البحرية فى واشنطن موضع ثقة . فهم هناك يعملون بهذه الطريقة أيضا . أما انجلترا فتستخدم طريقة الانتشار الغازى وكذلك تفعل كندا .

فقالت جين وهى تتنهد :

ـ لا تذكر الغاز فهو شيء خطير ويهلك كل شيء انى اكره لونه .

فقال ستيفن وهو يوافق على كلامها :

ـ وسوف يكون من المستحيل أن نجعل الأنابيب ضد التسرب ولكن هناك الفصل المركزى والفصل الألكترومغناطيسى ، وبيرتون هول لديه كل شيء فى عقله الآن ومنظم ، لقد أمضيت معه أمسية الأحد وقد حددت له الطرق الأربع ، أما الخطوة التالية فهى عملية تنسيق وهذه مهمة بيرتون هول ولكنه لا يستطيع أن يتحرك ما لم تعرف الحكومة ذلك .

فقالت جين :

ـ لقد ذهبت مساء الأحد لأستمع الى كونشيرتو لبيتهوفن فلم أكن استطيع أن ابقى وحدى فى شقتى لسبب ما .

فسألها ستيفن :

ـ الا يمكن ان ارى هذه الشقة ؟.

فاخذت جين تفكر فى الأمر وقررت أن تتقبل هذا الطلب ، لقد أصبحت الوحدة بالنسبة لها شيئا لا يطاق بعد ان ظلت لفترة طويلة ترتاح اليها وقالت له :

ـ متى تحب أن تأتى ؟.

فتراجع مرة أخرى وقال :

ـ فى وقت ما عندما لا يكون هناك شىء يقلقنى وقد تأتى هيلين معى . اننا نعرف الكثير عن هذه المادة يا جين .

فقالت له :

ـ نحن نعرف الكثير ولكن قد لا يكون كافيا ، ولكن هل ستعمل فى هذا المشروع يا ستيفن .

فاجابها :

ـ لا ، اننى ما زلت لا أعمل فيه وقد فعلت كل ما يمكن أن افعله ولسوف أعمل فى مشروع خاص بى ، فلدى بعض الأفكار عن استخدام الطب للنظائر المشعة .

ولم تجب واستدار ستيفن ليواجهها ويحملق فيها ويقول :

ـ ان أنفك يلمع .

فسألته وهى تمسح انفها بكمها :

ـ هل هذا مهم ؟.

فقال لها :

ـ لا تمسحيه اننى أحبه يلمع فهو انف جميل .

وفى هذه اللحظة استدارت جين وأخذت تجمع الأوراق وقصاصات الورق وتضعها فى درج المكتب ثم قالت :

ـ لقد حان موعد ذهابى الى بيتى .

فوافقها على ذلك وأخذ يتسكع لبضع دقائق فى المعمل ثم سمعها تقول :

ـ لقد جاءني خطاب من بيرتون هول اليوم .
فسألها دون أن يدير رأسه :
ـ أين هو ؟.
فقالت :
ـ في نيو مكسيكو وقد وجد المكان الذي ستقيم فيه المشروع .
ـ أعتقد أنه يريدك أن تذهبي معه .
ـ سوف يتيح لي الاختيار .
ـ هل ستذهبين ؟.
ـ لا أعرف .
ـ انك ستعملين بطريقة مباشرة في هذا السلاح اذا ذهبت الى هناك .

ولم تجب جين ثم وضع ستيفن المبراة على المكتب وخلع معطف المعمل ومضى ليرتدي معطفه ثم قال :
ـ سوف اذهب .

ولكنه توقف عند الباب ...
ـ اعتقد أنه كان هناك اثنان منا لقد قلت ذلك في احدى المرات ، اثنان ضد هؤلاء جميعا ويبدو الآن ان هناك واحدا فقط ، انني اقف وحدي أليس كذلك ؟.

كانت جين في تلك اللحظة تقرأ قصاصة من الورق وفجأة صاحت :
ـ ستيفن لقد اكتشفت غلطتك .

وفي خطوات ثلاث كان ستيفن بجوارها وخطف منها الورق واشارت الى احدى المعادلات وقالت :
ـ لقد سلمت بان قوة الصدمة تتحدد بكمية الطاقة التي تنتج ولكن ليست الكتلة هي التي تهم ، انها الطاقة الديناميكية الحرارية المباشرة .

فخبط جبهته بيده وقال :

ـ كم انا غبى .. انها نفس القاعدة التى استخدمها بيرتون هول منذ سنوات مع شركة جنرال اليكتريك فهى القوة التى فجرت الطاقة فى « فلاش التصوير » ..

فقالت :

ـ نعم .. نفس القاعدة ايضا للقنبلة الذرية .

ثم تركها وهو يمسك بيده قصاصة الورق وانتظرت وعندما لم ينظر اليها مرة ثانية وهو عند الباب ابتسمت ثم فتحت احد الأدراج واخرجت خرقة من القماش واخذت تمسح المنضدة كما لو كانت حوض مطبخ .

وبدات الاتصالات على جميع المستويات لتنفيذ هذا المشروع وكان بيرتون هول هو المحرك الأول لهذا المشروع وجاءته مكالمة من البيت الأبيض وبعد أربع وعشرين ساعة كان فى واشنطن ليقابل المهندس الكبير « فان » الذى اخذ منه التقرير ووعده بدراسته واطلاع الرئيس عليه .

وفى مساء اليوم التالى دق التليفون بجوار سريره واستيقظ على الفور وكانت الساعة الثانية والنصف وجاءه صوت فان يقول له :

ـ لقد قضيت اليوم مع الرئيس وانى اغادر لتوى البيت الكبير .

وقال :

ـ اذا كان يمكن صنع هذا السلاح فيجب أن نصنعه أولا وارجوك أن تقابلنى غدا فى الساعة التاسعة فى مكتبى وقد طلبت من ثلاثة زملاء آخرين أن يحضروا وسوف تكونون لجنة جديدة خاصة بأبحاث انشطار النواة ويجب أن تكتبوا لى تقريرا فى خلال شهر من الآن وقد يبدو العالم مختلفا حينذاك مما يبدو الآن عليه سواء من الأفضل أو من الأسوأ واذا كان تقريرك طيبا والعالم يبدو فى حالة سيئة فان الدولة كلها تقف وراءك بلا حدود .

فقال بيرتون هول :

ـ سوف أكون هناك .

ووضع سماعة التليفون وارتمى على وسادته ، لقد تحققت المهمـــة .

وفى السادس من شهر ديسمبر وقع باســـمه على التقرير النهائى وكان فخوراً بالسرعة التى انجزوا فيها هذا العمل . وبعد ظهيره اليوم التالى وفى الساعة الرابعة وبينما كان يقرأ فى بعض صحف الأحد تذكر أن هناك مباراة لكرة القــدم تذاع فى الراديو الشرك أخبار القتال وفتح الراديو ليستمع الى المباراة ولكنه سمع صوت المذيع يقول فى تهدج واضطراب :

ـ اننا نوقف هذا البرنامج لنعلن أن بيرل هاربور قــد دكت بقنابل الطائرات اليابانية .

وسقطت الكلمات على قلبه كضربات الحـــديد فوق لحم عار ونهض واقفا واستمر جامدا فى مكانه والدموع تنزل فوق وجنته . لقد أجيب على جميع الاسئلة اخيرا فقد دخلت البلاد الحرب .

ـ ٢ ـ

وفى صبيحة اليوم التالى الثامن من شهر ديسمبر عام ١٩٤١ استيقظ بذهن صاف وقلب هادىء لقد اتخذ القرار الكبير ولكن لم يتخذه هو . وسكتت المناقشات والجدل فقد اعلن من نفســـه ورايه سافرا أمامهم . ولم يكن يريد أن يوقظ زوجته فقد أزعجته بالأمس بنوبة من البكاء والعويل ، والحديث الطويل عن هذا الذى حدث وعن الخوف على أولادها من ويلات الحرب ثم سمع وهــو فى سريره جرس الباب وهو يدق وتطلع الى الساعة بجـــواره فوجدها السابعة فنهض من سريره وأخذ يتحسس طريقــه الى أسفل . كان الصباح مليئا بالضباب وفتح الباب ومن بين هــذا الضباب استطاع أن يرى شكلا نحيفا صغيرا يرتدى معطفا واسعا وعرفه وقال له :

ـ ادخل يا ياسوا . انك ستتجمد وانت واقف هكذا .

كان « ياسوا ماتسوجى » فنانا من اليابان تعرف عليه بيرتون هول منذ سنوات عندما كان يهتم بالفن اليابانى فى الجامعة منذ اربع وعشرين ساعة فقط كان يمكن ان يقول ان ياسوا صديقه فلم يكن يتصور أن يربط بين الفنان وبين عدوه او اى عـدو ولذلك لم يستطع ان يتكلم كما ان « ياسوا » لم يتكلم . وقف كل منهمـا يحملق فى الآخر وفى هذا الصمت الرهيب بدات الدموع لتدحرج من عينى « ياسوا » ورفع يده ليمسح الدموع ثم استدار مبتعدا من المنزل وقد احنى راسه حتى لا تتأثر بالرياح الباردة التى تاتى من البحيرة .

ولم يستطع بيرتون هول أن يغلق البـاب وراء هـذا الرجل فقال له :

ـ ياسوا . تعال .

وشعر برهبة اذ خاف ان يسمعه احد وهو ينادى واحدا من اليابانيين ولكنه كرر دعوته وقال :

ـ تعـال .

وعاد يا سوا مرتابا ووقف داخل الباب وانتظر فقـال له بيرتون هول :

ـ تعال الى مكتبى .

واغلق الباب ثم سار معه الى المكتب ، وجلس « يا سـوا » غارقا فى معطفه الكبير ثم شغل بيرتون هول نفسه باشعال النار ثم نظر الى ياسوا وقال له :

ـ اننى لا اعرف ماذا اقول فلم يتغير شىء بيننا فى الجـوهر فيما عدا ان ...

قاوما ياسوا وقال :

ـ كل شىء تغير عندك وليس عندى . انى اشعر بذلك ، اننى هنا لاقول لك اننى ادرك ذلك ولن اقول لك اغفر لى واغفر لبلدى فليس هذا ممكنا فانا لا استطيع ان اغفر لبلدى ، لقد هاجمـونى

ايضا عندما قاموا بهذا الهجوم على امريكا واحب ان اقول انى احب امريكا مثل اليابان فانا لا اتغير ، انا فنان وكل ما افكر فيه هو الفن الخالد نفس الفن فى كل مكان دائما ، وانا لست عـدوا ولن اكون ابدا عدوا ، وانت لست عدوا لى فى قلبى ولن تكون ابدا ».

وقال بيرتون هول :

ـ اشكرك ، اعتقد ان الناس امثالنا يحـاولون ان يقولوا نفس الاشياء فى بلدك وفى بلدى ويمكنك ان تستمر فى عملك كفنان ولكن بالنسبة لى : اننى مضطر لان اكون شخصا آخر الآن ، لا مجـردا عالم ، واعتقد انه يجب الا يرى كل منا الآخر حتى تنتهى هـــذه الحرب الرهيبة ، وبلدك او بلدى هى المنتصرة ، ويجب ان تكـون بلدى يا « ياسوا » مهما كانت التكاليف لان بلدك اختارت ان تقف بجانب العدو ، ليس عدوى فحسب بل عدوك ايضا .

واخذ الرجل اليابانى ينصت وعيناه سوداوان بالمأساة ،كانا يريد ان يتكلم وان يكشف من نفسه فقال :

ـ لسوف يحدث شىء حالا ، انا لا اعرف ما هو ولكن سيحدث شىء ، وقد يعيدوننا الى اليابان وحينئذ لن تكون لدى فرصـــة الصداقة مع امريكا ولذلك اريد الآن ان اتحدث عن كل صـداقتى للامريكيـــين .

واخذ يقص قصته وكيف جاء الى امريكا وشعر بيرتون هولا بقلبه يتمزق ودعاه ليتناول قدحا من القهوة ، وبعد ســاعة غادر ياسوا المنزل واخذ بيرتون هول يراقبه من النافـــذة ويتذكر الافا من اليابانيين الذين جاءوا الى امريكا ونسيهم وهو يفكر فى مشروعه الرهيب وقال لنفسه انه ليس مسئولا عنهم . ان امامه مهمـــة واحدة وهو ان يصنع القنبلة باسرع ما يمكن . وعندما راى ياسوا للمرة الثانية كان « ياسوا » وراء الأسلاك الشائكة لمعســكر من معسكرات التعذيب فى صحارى الاريزونا ».

كان البحث عن رجال يعملون معه هو المهمة التى تواجهه الآن • ويجب عليه أن يبحث عن علماء من الشباب وكلما كانوا أصغر سنا كلما كان ذلك أفضل ، تحت سن الخامسة والعشرين ان أمكن فهو يريد عقولا جريئة لم تتعب بعد ذات خيال منطلق حتى تكتشف الأشياء غير المحدودة • ولكن كيف يستطيع أن يقنع ستيفن كوسنت وكيف يواجه هذا الضمير الرقيق جدا ، انه يريد هذا العالم الشاب فهو ذو عبقرية أصيلة فهل يخسره لأن أباه كان رجل دين ، وفجأة فكر فى جين فهى يمكن أن تساعده فهناك شيء بين ستيفن وجين أم ان ذلك من تصوره ؟• فأمسك بسماعة التليفون وادار رقم المعمل وكانت جين هناك رغم ان الوقت كان متأخرا وعرفت أن بيرتون هول هو الذى يتحدث فامسكت السماعة وقالت :

ـ نعم يا بيرت ماذا تريد ؟

فأجابها بيرتون هول بقوله :

ـ جين اننى اريدك أن تحضرى ، هل ستيفن عندك ؟

ـ لا • • •

ـ حسن الآن اريدك ان تأتى لأنى أريد أن أراك بمفردك والموضوع خاص بالعمل بالطبع وأنا وحدى الآن فقد ذهبت مولى الى حفل •

لم ضحك ووضع سماعة التليفون • لقد كان يحدث فى بعض الأحيان أن يوقظها من نومها ليقول لها انها امرأة جميلة ورقيقة ولكن يبدو أنه لا وقت لذلك الآن كما انها لا تملك الوقت أيضا لذلك الآن •

وكان بيرتون هول قد ومضت فى مخيلته فكرة رائعة فلم لا تعمل جين مساعدة له واشعل نار المدفئة واخذ يتجول فى القاعة جيئة وذهابا فى انتظار حضور جين والآن ان ما يجب أن تفعله جين اولا هو أن تقنع ستيفن أن يتولى توليد البلوتونيوم ••

وسمع جرس الباب يدق والقى بقطعة من الخشب فى النيران قبل ان يذهب ليفتح الباب وعندما فتح الباب وجد جين تقف عنده فى معطفها الفراء وشعرها الأسود يتطاير فى الهواء ودخلت وخلعت معطفها وقالت :

ـ لقد كانت المواصلات صعبة فالناس فى الشوارع لشترى حاجيات عيد الميلاد .

فقال :

ـ عيد الميلاد . لا تقولى لى اننا يجب ان نحتفل بعيد الميلاد هذا العام .

فقالت وهى تدفىء يديها :

ـ اننا لا نستطيع أن نتهرب من ذلك .

فتجاهل قولها وسألها :

ـ اتريدين شيئا تشربينه ؟.

فشكرته واجابت بالنفى وحينئذ امرها بالجلوس فجلست ونظرت اليه فى هدوء وقالت :

ـ ما الخبر ؟.

فقال :

ـ اريد منك شيئين اولا لقد حصلت على منصب جديد فانت من الآن مساعدتى وهذا يتضمن كل شىء فستكونين موضع ثقتى ولن امنع عنك أى سر وسلطاتك غير محدودة بالنسبة لى ويمكنك أن تناقشينى اذا رأيت اننى على خطأ ولا تلقى بالا الى نوبات غضبى وسوف تقرأين خطاباتى . وقصارى القول ستكونين كل شىء .

فتطلعت اليه بنظرة باردة متحفظة وقالت :

ـ الى متى ؟

ـ الى ان ننجز هذا المشروع وبعد ذلك نرى .

ـ هل هذا ضروري يا بيرت ؟

ـ بكل تأكيد .

ـ سوف ابذل ما في جهدي ويجب ان نبذل ما في جهدنا الآن. وماذا من الشيء الثاني ؟ .

ـ اعرف انك وثيقة الصلة بالعالم ستيفن كوست اليس كذلك؟

فرفعت عينيها السوداوين :

ـ لا اعرف ماذا تعني بذلك فاذا كنت تعني علاقة شخصية فاني أجيبك بالنفي .

ـ هل لديك علاقة شخصية بأي شخص آخر ؟.

ـ ربما لا . فليس هناك وقت لذلك .

ـ اذن فكري ماذا يكون عليه الحال عندما تتقدمين في السن وتصبحين عانسا تعيشين وحدك تفتقدين الحياة .«

ـ قل لي ماذا تريد ؟.

فتنهد وهو يقول :

ـ اريدك ان تقنعي ستيفن بان يقوم بمهمة توليد البلوتونيوم فهو رجل محترم بالرغم من آرائه الدينية الغريبة .

ـ هل استقر رأيك على البلوتونيوم .

ـ ان كل شيء يشير اليه يا جين وبالطبع سنحاول ان نجرب كل شيء آخر ، لقد ضيعنا الكثير من الوقت في حجرات الاجتماع ويجب الآن ان نلتزم معاملنا فقد طلبني زيجنى في العام الماضي وقال انه ضاق ذرعا . فلم ينجز اى عمل جديد في التفاعل المتسلسل بين اول يوليو عام ١٩٣٩ ومارس عام ١٩٤٠ ، وظل يستحثني اما فيرمي فقد سار في المقدمة ومضى يعمل ويبدو ان العمل في معامل بيركلي قد اعطـــانا الدليل النهائي وهو اليورانيـــوم الى بنتونيوم الى بلوتونيوم .

فقالت جين :

– أى يتحول يورانيوم ۲۳۸ الى بلوتونيوم معتمدا على عـدد النيوترومات التى تنطلق نتيجة انشطار ذرة اليورانيوم ».
ورمقها بنظرة اعجاب وقال :
– لم افسر لك كل شيء .
فقالت لى بهدوء :
– اننى على اتصال بفيرمى ولا تنس انه كان استـــــاذى فى كولومبيــــا .
فحول الحديث وقال :

– جين لقد قررت اللجنة اول امس ان تمضى قدما فى المشروع وقد عاد اثنان من رجالنا من انجلترا وانت تعـرفين من أعنى وهم يقولون ان البريطانيين يحرزون تقدما رهيبا بدوننا وقد قيل لهما ان النازيين قد طلبوا كميات هائلة من الماء الثقيل من النرويج ولو لم يكن ما حدث فى بيرل هاربور شيئا فظيعــا لقلت انه شيء من الحظ وانى لاعجب ماذا قال ستيفن عن هذا الحدث .

فقـــالت :
– اننى لم ار ستيفن ولكن اين سيصنع هذا الانتاج ».
فأجابها بقوله :

– سوف يصنع هنا فى شيكاجو فى بادىء الأمر على اية حال حيث اكتشفنا لأول مرة اليورانيوم ۲۳٥ والذى بدونه لا نستطيع أن نبقى احياء اليوم يا جميلة ، لذلك عليك أن تقنعى ستيفن بأن يتولى هذا العمل .
فقـــالت له :
– ساحاول .
وانتظر برهة لكى تكمل كلامها لكنها لم تقل شيئا آخر فجلس ينظر اليها امراة جميلة رقيقة رشيقة فى اعماقها نيران خبيثـــــة وتطلعت اليه ورات نظرته المبتسمة المسددة اليها وفجاة قفز من

الكرسيه ورفعها بين ذراعيه وهو يتجاهل عينيها المندهشتين وتمتم
- جين ...
وشعر بيديها تبعد وجهه وتدفعه بعيداً بقوة عنيفة وقالت :
- دعنى اذهب . .
واسقط يديه وخجل من نفسه وادار ظهره لها ثم بحث عن منديله واخذ يمسح وجهه ولم يستطع ان ينظر اليها ولكنه سمعها تقول فى ثبات ورصانة :
- اذا عملت معك فيجب ان تتحكم فى نفسك فالتحكم شيء ضرورى .
وحاول أن يضحك وسألته :
- متى أبلغك ؟.
فقـــال لهـا :
- صباح غد فى التاسعة .
فقـــالت :
- سوف أكون هناك فى العمل ..
وخرجت جين ووقف بيرلون هول يتطلع الى البـــاب المغلق ولعن نفســــه .
سأل ستيفن جين :
- متى اقابلك ؟.
واخذت جين تفكر أنه ما يزال غاضبا منها وهذا جميل فهذا يعنى انه لن يفعل شيئا من اجلى وسوف يتخذ قرارا ضد رغبتى ان امكن وحينئذ لن اكون مسئولة . واتفقا على ان يتقـابلا مساء اليوم التالى فى احد المطاعم الهندية ووصلت جين الى هنــاك قبل الموعد المحدد لتختار المنضدة التى سيجلسان اليهـا قبل ان يصل ستيفن وحضر ستيفن وجلس فسالتها وقال :
- متى ستبدأ الحرب ؟.

فقالت ببساطة :

ـ لقد بدأت .

وبعد أن تناولا الطعام الهندى الذى أثار بعض الحديث عن الهنـــد قالت جين :

ـ ستيفن أن بيرتون هول يريدنى ان اكون مساعدته وقـــد قبـلت ذلك .

فقال لها :

ـ افعلى ما تشائين.

فقـــالت :

ـ وهو يطلب منك أن تكون مسئولا من هذا الانتاج .

ـ لا استطيع ان افعل ذلك .

ـ سوف يتم انتاجه بدونك .

ـ بالطبع ولكن لن اكون مسئولا فى هذه الحالة .

ـ قد تكون مسئولا عن الطريقة التى يستخدم بها .

واعتدل فى كرسيه وقال :

ـ جين لا يجب ان نتجادل ، اننى مسئول من شخص واحـــد وهو نفسى ، اننى لن أصنع سلاحا يقتل به الآخرون واذا كان هناك من يريد أن يصنعه فليصنعه اما انا فلا .

ـ اذن ماذا ستفعل ؟.

ـ سوف أعود الى معملى سوف أعكف على شىء لا يؤذى أحدا .

ـ يجب ان نتناقش فى ذلك لأن المادة المشعة يمكن أن تعالج كما يمكن أن تقتل وحتى فى القنبلة يمكن أن تنقذبدلا من ان تحطم وتدمر ولم يقل احد أننا ستستخدمالقنبلة فاذاصنعناها واوضحنا اننا نمتلكها فربما تنتهى الحرب دون أن تستخدم .

فحملق فيها وهو لا يكاد يصدق ما يسمعه وقال :

ـ منطق « الفرد نوبل » عندما صنع الديناميت .

ـ لقد كان الديناميت أسوأ متفجر يستطيع أن يصـنعه فى هذه الأيام وستكون القنبلة أسوأ من ذلك بكثير حتى ان أحدا لن يستخدمها أبدا .

ـ هل تعتقدين ذلك ؟.

ـ نعم انى اشعر بما تشعر به ولكن لأنى امرأة فانا عملية أكثر منك واعتقد أننا اذا جعلنا من الحرب شيئا رهيبا كما هى بالفعل وكما يمكن أن تكون فان الرجال سوف يوقفون القتال .

ـ وددت لو اصدق ذلك ياجين .

ـ ان هذا الانتاج سيصنع ، لا شك فى ذلك فنحن فى سباق رهيب وسوف يصنعه النازيون ان لم نصـنعه نحن وهـذه هى المشكلة ، اننا مضطرون الى صنعه ولكننا لسنا مضـطرين الى استخدامه وربما نجربه حتى يستطيع العدو أن يرى ما لدينا .

وراح ينصت اليها وعيناه على وجهها وقال فى همس :

ـ كيف استطيع أن اقول انك على خطأ وكيف اعرف انك على صواب ؟ . فامطنى مهلة يا جين يجب أن اعاود التفكير .

ـ ليس هناك وقت يا ستيفن .

ـ حتى غد .

ـ ليكن ولكن هل تبلغ بيرتون هول بنفسك ؟.

فقـال لهـا :

ـ نعم سوف ابلغه .

ثم نهض واقفا فلم يكن هناك شىء آخر يقال وترك النقود على المنضدة وسارا فى صمت ليفترقا عند الباب ولم يوصـلها الى البيت فلم يكن يريد ان يسمح بأن يثار ادنى احتمال من وجود علاقة بينهما كرجل وامرأة وقالت جين فى نفسها ان هذا افضل ولكنها فزعت فجأة اذ تحرك فى قلبها شعور غامض وغصة مفاجئة سببت

لها الما مفاجئا . ليس هذا مهما فليست اكثر من لحظة واحدة وقد امتادت على هذه الوحدة .

ووصل ستيفن الى بيته وهو فى حيرة • كان قلقا ولا يستطيع ان يفعل شيئا حتى هذه الامسية لم يكن على يقين من صوابه فى رفض الاشتراك فى صنع القنبلة الذرية وكان يعزل موقفه موافقة جين على ذلك والآن هجرته جين ولم تهجره هو فحسب بل هجرت موقفه الاخلاقى ولو أنها كانت انضمت الى الجانب الآخر واستسلمت لأمر بيرتون هول لرضى بهذا الهجر ولكنها لم تستسلم ولكنها اتخذت موقفا اخلاقيا آخرا جديدا حتى انه لا يستطيع أن ينكر ان هناك شيئا فيما قالته لقد وضعت على كتفيه عبئا آخـــر « فالقنبلة سوف تصنع وهى على حق حتى الآن ومهما يكن مايفعله فلن يستطيع ان يمنع ذلك ومع ذلك فاذا صنعها رجال ليس لديهم اى وازع عن استخدامها الى يشاركهم جريتهم الاخلاقية هذه واذا عمل معهم كما قالت جين واثر فيهم الا يستطيع ان يقنعهم بان يعلنوا عن هذا العمل دون أن يستخدموه فى هجوم خاطف يفوق الهجوم على بيرل هاربور فى دماره وهلاكه الحياة البشرية . وارتكن براسه على حشيه الكرسى وندت عنه صرخة الم واغمض عينيه ولم يستطع ان ينكر ان المنطق يقف الى جانبها فهو منطق عملى على النقيض من مثاليته الانانية .

نعم لقد حاول ان يهرب الى مثاليته ولكن جين اكتشفت هـذا وواجهته به انها على حق بالطبع وعليه الآن ان يقرر كيف يستغل خدماته فى صنع القنبلة ودخلت عليه هيلين ونظرت اليه وقالت :

ـ هل تخفى شيئا ؟•

فاجابها بقوله :

ـ انا لا اخفى شيئا • سوف اقول لك كل شىء ، سوف اسهم فى صنع القنبلة وانا مقتنع بذلك لكل شىء قد تغير الآن يا هيلين، بيرل هاربور غيرت كل شىء ، فما كان ممكنا ليلة اول امس اصبح

مؤكدا الآن وليس هناك من مفر والأمل الوحيد المتبقى هو أننا اذا صنعنا القنبلة فيمكن ان نبلغ الناس اننا صنعناها كما نعرفهم بما يمكن أن تفعلههذه القنبلة، فقد يكون هذا كافيا كتهديد وليس كسلاح وانا لم أفقد اهتمامى ولكننى غيرت مركزه وبما ان القنبلة يجب أن تصنع فان واجبى ان افعل كل ما استطيع للحيلولة دون استخدامها .

وأعربت هيلين عن فهمها لما يتحدث عنه وصعدا الى اعلى لتحتويهما حجرة النوم • وبعد يومين كان بيرتون هول يتحدث مع جين من مكتبه فى الجامعة ويقول :

— احب ان اعرفك ان اللجنة قد اجتمعت بمندوب من رياسة الجمهورية وآخر من وزارة الدفاع وكانا ينصتان ونحن نتحدث ولكننا اتفقنا على وفاق ومهمتى ذات شقين فانا مسئول عن تصميم القنبلة ذاتها وصنعها بعد ذلك وسوف احتاج الى مئات الأرطالمن البلوتونيوم ولكن كيف احصل عليها ؟• وهناك ثلاث مشكلات وهى : كيف نحدث تفاعلا نوويا متسلسلا باليورانيوم العادىالذى نستطيع الحصول عليه وكيف يمكن استخلاص البلوتونيوم الناتج من هذا التفاعل من اليورانيوم الذى يكمن فيه وكيف نصنعه بالدرجة التى لا بد منها لصنع القنبلة ؟•

فقالت جين :

— سوف نستخدم الجرافيت الذى يقول به فيرمى لنستخدمه كمهدىء ثم ان الماء الثقيل يستغرق وقتا طويلا لصنعه كما اكتشف ذلك الألمان أما البريليوم فمن الصعب جدا الحصول عليه •

فقال بيرتون :

— ولكن هل اثق فى تجارب فيرمى التى اجراها فى كولومبيا انها تجارب قليلة ؟•

فاجابت : لقد اظهرت كيف تكثر النيوترونات •.

فتنهد بيرتون وقالت جين :

— ان فيرمى سوف يقوم بذلك •.

وسكت بيرتون هول قليلا ثم قال :

ـ اننا لا نستطيع أن نجازف ونعتمد على طريقة واحدة لصنع القنبلة ويجب ان نعمل كل شيء في وقت واحد لذلك سنبدأ بالعمل بأربع طرق ويمكن ان تسميها اربعة جياد في سباق وليتنصر الفائز وهذا هو السبب في أنني أريد ستيفن كوست ليتولى تنفيذ الطريقة التي اراهن عليها .

فقالت :

ـ سوف يكسب .

فقال لها :

ـ أنت أدرى بالطبع .

ولم تجب على ذلك .

وواصل بيرتون هول بعد ان رمقها بنظرات جانبية حادة قوله :

ـ فنقوم بتجارب الانفصال المغناطيسي في احدى الجامعات والانتشار الغازي في جامعة اخرى والانفصال المركزي في معمل ستاندرد أويل ولكن بالاشتراك مع جامعة ثالثة اما ستيفن كوست فيعمل هنا في شيكاغو تحت بصرك وبصري وهؤلاء جميعا ليسوا في حالة تنافس فالتعاون يجب أن يسود بينهم فليس هناك شيء شخصي الان في العالم كله وأعرفك أن اللجنة سوف تجتمع كل اسبوعين في واشنطن على المستويات العليا بالطبع وفي سرية تامة ولكن سيكون معنا اكفأ الرجال من أوربا وانجلترا ونحن على استعداد لأن نمضي في الطريق ، لقد دخلنا الحرب منذ ستة شهور وقد استولت اليابان على الفيليبين وسنغافورة وسوف تستولي على اندونيسيا بعد ذلك اما النازيون فقد استولوا على أوربا ويحاول الثعلب رومل ان يستولي على شمال افريقيا » التي لم اتم منذ اسابيع ، وماذا كنت سافعل بدونك .

وتثاءب وارتكن في كرسيه الى الوراء وراح في النوم على الفور ولم يوقظه من نومه سوى رنين التليفون الذي أمسك بسماعته على الفور ليستمع الى زوجته تسأله عما اذا كان سيحضر الليلة الى

البيت ، وتبلغه أن واشنطن قد اتصلت به ثم القى بسماعة التليفون بعد أن ابلغها انه لن يحضر ثم تحدث مع فان الذى طلب منه أن يراه غدا لأمر هام ثم قام وذهب الى الحمام ليضع راسه تحت الماء حتى يفيق ثم عاد الى مكتبه وطلب جين وسالها :

ـ الم تنامى بعد ؟»

ـ لا . فانا اتوقع أن تناديني .»

ـ انه يجب أن آخذ القطار التالى الى واشــــنطن وعليك أن تركبى الطائرة فى الصباح وتقابليني فى الفندق .

وبعد ساعة كان يستقل القطار الى واشنطن التى ما ان وصل اليها حتى ذهب لتوه الى مكتب فان كبير مهندسى الحكومة الذى كان ينتظره فى مكتبه ورحب به فان وعرض عليه تقريرا من المخابرات العسكرية يقول ان هناك بعض الأشخاص ذوى الميول الهــــدامة يعملون فى المشروع وكثر الجدل بين بيرتون هول وفان واخــيرا حسم فان الموقف بقوله :

ـ ان رئيس الجمهورية قد اتخذ قرارا بأن يوضع المشروع كله تحت اشراف رجال الجيش واشراف الحكومة .

وحاول بيرتون هول أن يعترض على ذلك ولكن فان قال له :

ـ يجب أن ينفذ ذلك . ولا داعى للجدل وقد نوقش هذا القرار على المستويات الكبيرة بعد أن قرره الرئيس .

وتلعثم بيرتون هول وهو يشعر باليأس وقال :

ـ ان هذا يتعارض مع تقاليدنا والعلمــاء الذين يعملون معى ولن يعملوا فى ظل هذا الاشراف انك لا تعرفهم مثلمـــا اعرفهم وأنا واحد منهم ثم ان وظيفتنا هى الثورة على القواعد والروتين». فقال فان مقاطعا :

ـ هذه مشكلتك وليست مشكلتى كما انى اريد منك أن تقابل الجنرال الذى يتولى هذا الموضوع وسوف تذهب اليه فى مكتبه .»

وتبعه بيرتون هول الى مبنى آخر والى مكتب آخر وخلف المكتب الكبير كان يجلس رجل ضخم فى زيه العسكرى وقدم فان بيرتون هول بقوله :

ـ دكتور بيرتون هول أكبر علمائنا •

وقال الجنرال :

ـ انى سعيد بمقابلتك يا دكتور هول •

ثم تركهما فان وحدهما وانصرف •

وفى المساء وفى الفندق أخذ بيرتون هول يحكى لجين مقابلته مع الجنرال وكيف أنه قد استقر الأمر عن أن يتولى العسكريون والحكومة الاشراف على الموضوع وكيف انهم ـ أى العلماء ـ قد أصبحوا مكلفين مثل الجنود تماما كذلك سرد على مسمعها كيف أن الجنرال قد صمم على أن ينتج القنبلة على نطاق واسع وكيف أن العلماء غير مسئولين عما تتطور اليه هذه الصناعة وقد قال له بيرتون آنذاك :

ـ اننا نقبل مسئوليتك للمشروع ولكننا لا نستطيع أن نتملص من مسئوليتنا عن اطلاق الطاقة الذرية ، انه يجب أن يكون لنا رأى فى تطوير واستخدام ما اكتشفناه بانفسنا ولا يستطيع أحد أن يعفينا من ذلك •

وبعد أسابيع طلب الجنرال أن يقابل المسئولين فى الجامعة والعلماء وعائلاتهم وكان يقول :

ـ انى أريد أن أعرف الرجال الذين أعمل معهم وأريد أن أعرف زوجاتهم على وجه الخصوص فيمكنك أن تعرف الكثير عن الرجل اذا عرفت زوجته وقد قص بيرتون هول على جين فى مكتبه ما حدث أيضا فى ذلك اليوم وضحكت جين فى رقة ثم أخرجت خطابا من حقيبتها وقالت :

ـ يهمك بالطبع أن تعرف أننى تلقيت اليوم خطابا من الهند من رجل أعرفه هناك يعمل بالكيمياء الحيوية فقد كنا معا فى

مدرسة واحدة عندما كنا أطفالا ولم أره منذ سنوات وهو يقول لى في خطابه انه تلقى تقريرا من المانيا عن طريق اليابان يفيد بأن العلماء الألمان يقولون بأن العلماء الأمريكيين لا ينوون صنع القنبلة وهم يعتقدون ذلك لأن العلماء الأمريكيين فى المؤتمر الدولى الأخير لم يتحدثوا عن النواحى العسكرية للانشطار النووى وأعتقد أن هذا سيفرحك ٠

فقال لها :

ـ بالفعل لقد توقفنا عن الحديث عن الانشطار النووى أو الكتابة عنه كما تعرفين وقد كنت حريصـــا على ذلك حتى فى الندوة التى عقدتها حول الأشعة الكونية فقد تحدثنا عن كل شيء مع العلماء الألمان فيما عدا الدفاع ٠

فقالت جين :

ـ ان هذا يختلف كثيرا عن علمائنا الأمريكيين الذين عادوا من برلين هذا العام أتذكر ٠

فتنهد بيرتون وهو يقول :

ـ هل أذكر ؟٠

ـ انشطار النظائر هو الطريق المباشر للقنابل الذرية !٠ ولكن كيف يقول فيرمى انه يشك فى أن الألمان يصنعون هـــذا السلاح الرهيب ، هل تعتقدين أنه على حق يا جين ؟ مائة فى المائة ؟٠

فقالت :

ـ طبعا على حق اننى اذا شككت فيه فاننى أشك فى نفسى وفيك أيضا ٠

وهنا قطب ما بين حاجبيه وتظاهر بالغيرة العنيفـة فضحكت جين مرة أخرى وأومض فى عينيها بريق من الرقة والعذوبة ، انا

هناك شيئا جميلا فى هذا الرجل الكبير شـيئا مؤثرا ربما كان يمكن ان تحب مثل هذا الرجل لو كان الحب ضروريا .

ولم يعد يستطيع بيرتون هول ان يتملص من الجنـرال أو يهرب منه بعد أن أصبح مشرفا على المشروع . وكان هذا الجنرال لا يفتا يستدعيه ليصدر اليه الاوامر ويلقى اليه بالتعليمات عما يجب ان يتم .

وما كاد يمضى يوم واحد على المقابلة الأخـيرة بينهما حتى استدعاه ليامره بمقابلة كريستوفر ستارلى نائب المدير التنفيذى لشركة « كانادى فاريل » التى ستتولى الانتاج على نطاق واسع . وقال ستارلى :

ـ يجب أن يعرف الجنرال وانت أيضا ان المشروع كبـير . ويجب ان تصمم المصانع الكبيرة لذلك ، وان تتطور باشياء جديدة لا نعرف عنها شيئا حتى الآن . واننى لأخشى ان تنتهى الحـرب ونحن لم نعمل فى المشروع .

ثم استدار ستارلى الى الجنرال وقال :

ـ سوف نبدأ العمل فى اللحظة التى يقدم لنا فيها العلمـاء الانتاج .

فاعلن بيرتون :

ـ سوف يكون لديك فى خلال ستة شهور .

وفى اليوم التالى ، وكان يوما من أيام نوفمبر ، استمع ستيفن كوست الى قصة هذه المقابلة تعاد على مسامعـه . وانصت فى اهتمام الى أن أعلن بيرتون هول عن قراره النهائى .

وبعد ذلك تحدث ستيفن وعيناه تنظران خارج النافذة :

ـ أعتقد أننا يمكن أن نحدث التفاعل المتسلسل هنـا فى شيكاغو .

ـ وما هو تحليلك لذلك ؟ .

ـ باختصار ، ان التحكم هو العامل المهم ، كمـــا تعرف ؟
واحتمال التحكم يكمن في هذه النيوترونات القليلة المتـأخرة في عملية الانشطار ، هذه النيوترونات التي لا تنقسم على الفور ولكن تنقسم بعد عدة ثوان • وأنت تعرف ما يعنيه هذا عندما تكـون الظروف مناسبة لتفاعل متسلسل ثابت • وهناك فترة من الوقت في عملية الانشطار وهذا يعطينا فرصة في التعديل • لقد فحصت تقديرات فيرمى مئات المرات • وسوف نعمل في ظروف تكاد تكون ثابتة حتى انه سيكون لدينا عدة دقائق قبل أن يضاعف التفـاعل من قوته • وسيتيح لنا ذلك الوقت لكي نتحكم •

ولفر بيرتون هول فاه :

ـ ولكن شيكاغو في وسط مدينة كبيرة •

فقال ستيفن :

ـ لست ادرى ماذا يمكن أن يحدث من خطأ • سوف نجعـل التفاعل يمضى في بطء ، لذلك لن تكون هناك فرصة لأن يخرج من تحت سيطرتنا •

وشعر بيرتون هول بالضيق والقلق وأعرب عن رغبته في أن يذهب الى العمدة او الى مدير الجامعة او الى أى شخص •

ولكنهم جميعا سيرفضون • فأى شخص عاقل سوف يرفض، لأنه لا يستطيع ان يتحمل المسئولية •

ولم يجب ستيفن • وجلس لا يتحرك ، يداه في جيوبه ،وكان يحملق عبر النافذة • وكان يشعر بصداع غامض ، وبألم عميق •

وتنهد بيرتون هول في يأس مباغت ثم قال :

ـ سوف اتحمل انا هذه المسئولية • ليس هناك شخص آخر يتحملها . امض في طريقك يا ستيف .

وفتح الباب في هذه اللحظة وظهرت جين ايرل على الباب • وأخذت تنقل بصرها بينهما ، ولكن كلا منهما لم ينظر اليهــــا • فتراجعت واغلقت الباب مرة اخرى •

نزع ستيفن الترمومتر من فمه ونظر اليه وقال بامتعاض :
ـ مائة وثلاثة .
فقالت هيلين :
ـ اذن لا يجب أن تقوم من السرير
ـ يجب أن أنهض .
ـ لا تستطيع ... واذا سمعت كلمه أخرى فسوف أبعث الى بيرتون هول لكى يحضر .
ـ انه فى نيو مكسيكو .
فقالت :
ـ هل هذا يهم ؟.
ثم اختفت بسرعة ورقد هو فى سريره مغيظا . فمن كان يعتقد أنه بمجرد ان يطير بيرتون هول منذ ثلاثة أيام الى مكان غير معروف فى الصحراء أن يثور أربعة من زملائه العلماء ، الذين كان يمكن أن يقسموا على مساعدته وتعضيده ، على شيكاغو كمكان تجرى فيه هذه التجربة الهائلة .
لقد قال له بيرتون هول وهو يتركه :
ـ ان الأمر كله فى يدك يا ستيف .
ان الأمر كله فى يده . وهو الآن راقد فى سريره يعـــانى من الانفلونزا . ان الاجتماع الذى سيقرر كل شىء كان يجب أن يكون فى مكتبه بعد ساعة من الآن . ولم يجرؤ على أن يتحدى نفســـه ويغادر الفراش . فمن المهم أن يكون فى صحة جيدة .
وجاءت هيلين بطبق من الحساء لم يكن لديه رغبة فى تناوله . وتحدث مع الرفاق حتى يحضروا اليه . وبعد نصف ســاعة كان أربعة من الرجال يجلسون حول سريره ، وكلهم علمــاء يجب أن يحترمهم بل وفى حاجة اليهم أيضا . ومنطقهم يتعارض مع منطقه، ولكن هذا المنطق يجب أن يحترم .
ـ ان المركز الرئيسى لهذا العمل فى كولومبيا الآن .

ـ أوبرلستون .

ـ اذن ما معنى المجيء به هنا ؟

ـ ان مسير العمل هنا بطيء جدا يا ستيف . انك لن تحصل على التفاعل المتسلسل هنا في شيكاغو .

فقال ستيفن :

ـ سوف يكون قد حدث في نهاية هذا العام .

ـ أراهن أنك لن تستطيع . أراهن بألف دولار !

ـ وانا موافق أمام هؤلا الشهود .

ثم وقف وقال :

ـ تعتقدون أيها الرفاق أنني لست جادا . انني جاد . وقد استمعت الى منطقكم . فالمعمل والمكاتب هنا جيدة . وتذكروا أنني مسئول عن المشروع . انه يجب أن يكون حيث أستطيع ان أشرف عليه . ويمكن أن آتي بالعلماء هنا ووزارة الدفاع قد جمعت كل الرجال الأكفاء على الساحل الشرقي . ولا أعرف من أين أجد رجالي هناك . ولا تنسوا أنه حيث يوجد رجال توجد عائلات ويمكن أن نجد سكنا هنا . والأهم من ذلك أننا لا نكون عرضة للقنابل مثل المرافيء الساحلية .

وكان الدم قد تدفق الى مخه . فشعر بالحمى ترتفع ، وجسده يزداد حرارة . فرقد على الوسائد .

ـ سوف أقرر وهذا شيء نهائي . سوف نبقى في شيكاغو .. هنا سنفعل كل شيء .

وساد الصمت وفجأة تكلم أحد العلماء :

ـ ولكنك نسيت شيئا هاما وهو أن فيرمي في نيويورك ونحن لا نستطيع أن نعمل بدون فيرمي ، فقال ستيفن :

ـ سوف يأتي فيرمي الى هنا .

وفتح عينيه الملتهبتين وحملق فيهم متحديا اياهم أن يجيبوا .. ولكنهم لم يقولوا شيئا . ثم ودعوه وانصرفوا ..

وعندما انصرفوا أمسك بسماعة التليفون وطلب فيرمي مكالمة شخصية . وتحدث مع فيرمي . وبعد خمس عشرة دقيقة حصل على الوعد الذى يريده . ثم وجد جيلين وهى تمسك بطبق الحساء فأخذه منها وقال :

ـ سوف أشربه لقد كسبت هذه الحرب الخاصة .

أرخى بيرتون هول العنان لجواده . كان هواء الصحراء صافيا وباردا فقد كان الجو غريبا وكانت الجبال تتراءى أمامه على بعد وقال لجين :

ـ اننى آتى الى هنا لأنى أشعر اننا سوف نستخدم هذا المكان وعلى الاخص هذه البقعة التى على مرمى البصر وأنا لا أحب أن آخذك الى هناك لانى أخشى كلام الناس فى هذه المنطقة ولكنه مكان مثل القلعة وهو ملائم جدا للتشطيبات النهائية وباركييز لديه التصميم أما ستيف فلديه المعدات وعندما تتم هاتان العمليتان وتجرى التجربة الكبيرة تحت اشراف فيرمي ونكون أنا وأنت هناك للتشطيبات فحينئذ سنكون على استعداد لأن نمضى قدما وسنصنع السلاح » فسألته جين :

ـ وبعد ذلك .

فقال فى ابتهاج :

ـ حينئذ يا فتاتى الصغيرة سوف اذهب بعيدا فعندما تصدم القنبلة سوف اعتزل كل شيء أخشاه وامقته وسوف أفعل كل ما احبه وافرح به وأرضاه وسوف يشتمل هذا على كل شيء وأكثر مما تعتقدين يا فتاتى الطويلة .

فابتسمت له . فهذه الشهور التى عملتها تحت اشرافه الرائع كادت ان تقربها من حبه وهى تعرف ذلك تماما ولم تحدث بينهما كلمة ولكنهما اقتسما الشيء الكثير وعندما نظرت اليه الآن عرفت أنه سيكون من المستحيل فى يوم من الأيام أن تقاومه ويجب ان تستعد لذلك اليوم وتلك الساعة التى تنطلق فيها التوترات المتجمعة من عملهما المشترك ويجب ان تكون على ثقة من نفسها ثقة بانها تعرف ما تريد وفجأة سألها بيرتون هول :ـ

ـ هل تحلمين ؟•

ـ أحــــلم ؟

ـ نعم تحلمين •••

ـ اننى لا أحلم أبدا •

ـ ولكن عينيك عينا انسانة حالمة •

ـ يحتمل أنها تحلم فى النيوترونات •

ـ انك لا تستطيعين أن تهربى منى بهذه الطريقة فالنيوترونات هى السر يا فتاتى وبدونها لا نستطيع أن نحول العناصر ونجعل من أحلام رجال الكيمياء حقيقة فى النهاية فليس هنـاك انفجار بدون نيوترونات • وضحكا معا وقال :

ـ استطيع ان أحبك أيتها المرأة ، أعنى أحبك حقا فاية متعـة يمكن أن تعادل ما نستـــمتع به ؟ فانا أتحدث وانت تفهمين وانت تتحدثين وأنا أفهم ، وهــذا يكفى أليس كذلك ؟ ولكن النســوة يطبيعن وقتهن فى الأحمر والمساحيق وكل هذا الكلام الفــارغ فعندما يجيب عقلك على عقلى فى التو واللحظة فاننى استطيع أيتها الأنثى الفريدة أن •••

فقاطعته قائلة :

ـ انتظر ، انتظر •

وتبادلا نظرة طويلة واقترب بجواده من جوادها حتى تلامست ركبتاهما وقالت :

ـ لا يا بيرت لا أجرؤ •

ـ ولم لا •

ـ أنا لا أثق بنفسى •

ـ بالتأكيد فلست أنا الذى لا تثقين به •

والقت اليه بنظرة قلقة وهمزت جوادها حتى ركض يسـبقه وارتفع بينهما التراب الذى اثارته اقدام الجواد الراكض •

كان ستيفن كوست يرتعد فى برد ديسمبر وهو ينتظر الترام، اكان اليوم الثانى من الشهر ومع ذلك كان الجو باردا مثل منتصف

الشتاء تماما . وكانت حرارته قد انخفضت عشر درجات . وكان قد ترك السيارة لزوجته فان عليها أن تقوم بعدة زيارات للعائلات التى تحت رعايتها وذلك منذ أن جاء العلماء بعائلاتهم إلى شيكاغو كان هناك أطفال صغار يجب أن يؤخذوا الى المستشفيات ،كما كان يجب أن تقوم بشراء بعض الحاجيات للأمهات اللاتى لديهن أطفـال صغار . وكان الترام مزدحما . بل ان الانباء من الخارج كـانت سيئة . وأخيرا استطاع أن يشق طريقه بصعوبة الى احدى المركبات فى الترام وحشر نفسه بين الناس . وكان مرهقا من الأرق . لقد ترك التجربة منذ ساعتين ليذهب الى المنزل ليغتسل ويأكل وينام لمدة ثلاثة ارباع الساعة . بينما كانت هيلين تجلس بجـوار التليفـون خشية أن تكون هناك مكالمة من احد . وكان يجب أن يغتسل يوما بأكمله حتى يزيل الجرافيت من فوق بشرته . وكانت أظافره سوداء مثل اظافر الذى يعمل فى منجم للفحم . وسألته هيلين :

ـ لماذا تتسخ هكذا ؟.

فأجابها فى جد وصرامة حتى أنها لم تعاود السؤال :

ـ أود أن اقول لك كل شىء .

وعاد ليرقب التجربة . وجاء عدد من العلماء . وعبر المكان رأى بيرتون هول ثم رأى جين . ولم يكن قد رآها منذ شهور . وأوما لها أنها مع بيرتون هول كل يوم . وكيف يكون رجل عاطفى وحسـاس بالرغم من ذكائه معها كل يوم ولا يقع فى حبها ؟. وبما أنها ما تزال مع بيرتون هول فماذا يعنى هذا سوى أنها استجابت له ؟.

واستدار بظهره اليهما ، وحينئذ وجد بيرتون هول بجانبه ، وكان مضطرا لأن يصافح يده الممتدة اليه . وقال بيرتون هول :

ـ اننى لم اكن لاترك هذه الفرصة مهما كان الأمر ياستيف . فهذا أعظم يوم فى تاريخ البشرية ؟.

ـ فقال ستيفن فى تشاؤم :

ـ يحتمل أن يحدث خطأ .

ـ اننى أراهن عليـك وعلى فيرمى .

ــ شكرا .. ان التجربة تنجح على الورق ، ولكن من يعرف ؟

وسار ستيفن ، غير مستطيع أن يتحمل الحديث ،واخذيتفحص بعض الاجهزة . لقد ازدادت سرعة عـداد النيــوترون بالامس ، واستيقظ فيرمى فى الليل ليستمع الى الانباء . واعدكل شىء لتجربة هذا الصـــباح .

ووقف فيرمى امامهم الآن وقال :

ــ لقد وصلنا الآن الى الهدف الذى نسعى اليه منذ فترة طويلة لقد بدأ التفـاعل المتسلسل . اننا نجرى الآن اعظم تجربة . ويجب ان نعرف انه لا يجب أن يبدأ التفاعل المتسلسل فحسب بل يجب أن نعرف كيف نوقفه كذلك .

وبدأت التجربة واخذ ستيفن يصدر اوامره الى العاملين ، ومرت دقائق . وصمتت القاعة الكبيرة فيما عدا دقات الآلات .. ودوران المحرك . ونظر الى جين . كانت تركن الى الحائط وكان وجهها أبيض وعيناها سوداوتين . ولم تنظر اليه ، اما هو فقد ابعد نظره عنها . وفجاة صاح فيرمى :

ــ ضعوا قضبان الامان .. لقد تم التفاعل .. وأمكن إيقافه ، وانتهى ما حدث .

واخذ فيرمى يفكر فى الخطوة التالية ، اما بيرتون هو فقد ذهب الى التليفون . وسمعه ستيفن يتحدث ويقول :

ــ لقد هبط هذا البحار الإيطالى فى العالم الجديد .

وشعر ستيفن بانه يريد أن يبكى . فالاعياء وعدم التشجيع والقلق الذى اصابه فى الأسابيع الماضية ،ظهر فجأة مختلطا بالارتياح والاباء وفرصة النجاح . كان حزينا جدا .. وتمنى لو انه لمثــل لماذا سيفعل الرجال بنجاحه ؟ والى اى مدى يعتبر مسئولا عما قد يفعــلونه ؟

وكان الجنرال يتحدث مع فيرمى الآن عند الباب لا شىء سوى الانتصار على هذا الوجه المتالق . وفجاة وجد يدا تلمس كتفه .. كان « ستارلى » رجل الصناعة الشاب الذى قابله اليوم فحسب وكان وجهه الانيق يتالق وهو يتحدث :

ـ انى اهنئك ياكوستت ٠

وشكره ستيفن وشعر بالهدوء للحظة ٠ وأخذا يتحدثان قليلا ثم نظر ستيفن الى الفرن وابتسم مرة اخرى ثم سار فى رشاقة مبتعدا عن المكان ٠ ولكنه توقف فجأة وأخذ يحملق الى الفرن وسمع صوت جينى بجانبه وقالت :

ـ لقد فعلتها ياستيفن

ولم يدر راسه وقال :

ـ أرجوك لا تهنئينى ٠٠ لا استطيع أن أتحمل ذلك فى هذه اللحظة ٠

ولم تجب ، ولكنه شعر بيده فى قبضة يديها الدافئتين ، ونظر اليها مندهشا ووجد وجهها رقيقا وناعما ، ووقفا لحظة يدا فى يد وفى هدوء سحبت يدها وتركته لتتبع بيرلون هول ٠

الكل غادر المكان وتركه وحده ، فيما عدا هذا الفرن حيث تحترق نيران اقوى مما يمكن ان يتصوره انسان ٠ ولكن الانسان ، فى جهل سعيد ، لم يعرفها حتى اليوم ٠ والآن ، وقد عرفها لا يمكن ان يخلد للجهل مرة أخرى ٠

وفجأة نهض ستيفن ، وهو لايستطيع أن يتحمل هذه الوحدة وأسرع الى بيته وقال لزوجته :

ـ سوف أذهب لأنام ٠٠ لا توقظينى مهما يكن من امر ٠

ـ ٣ ـ

وفى منطقة « تينيسى » ذات الجبال المنخفضة كان الربيع قد اشرق مرة اخرى ٠ وفى الوادى الكبير كان ستيفن كوست ينصت الى المقاول وهو يشرح له ، وهو يفرد أمامه بعض الرسومات ، كيف سينشىء هذه المدينة الجديدة التى ستبدأ فيها الخطوة التالية ٠٠ واخذ يحملق فى المنطقة البيضاوية الشكل حيث سيقام الجهاز الكبير الذى سيقوم بالعمل ، وهو الانفصال المغناطيسى لنظائر اليورانيوم ٠ وفى الاسبوع الماضى كان قد خطرت له فكرة عن

المغناطيس . وكان النحاس هو المشكلة . واخذ يفكر في هذه المشكلة

ان الحرب تستنفد الموارد القومية من النحاس وهو يريد النحاس للمغناطيس وبكميات كبيرة . ولكن لايمكن ذلك . فاخذ يستعرض المعادن التى يمكن ان تتحول . ان الفضة يمكن أن تتحول ، ولكن أين يمكن أن يجد ما يكفى من الفضة ؟ وحينئذ تذكر الاحتياطى الكبير من الفضة فى وزارة الخزانة الامريكية . ولم لايستخدم هذه الكميات يستعيرها ثم يردها دون أن تفقد شيئا ؟ ومضى بفكرته الى الجنرال، ولم يستطع مقابلته فتحدث مع مساعده الذى دهش لهذا الطلب. وبعث بالطلب الى وزارة الخزانة ووفق عليه على شرط أن يعود هذا المعدن نفسه .. وجاءت هيلين من اعلى التل من الغابات ، وفى يدها بعض الورود وقالت :

ـ اريد بيتى هنا ، وسوف احبه أكثر من شيكاغو ، لقد كنت أريد دائما أن اعيش على تل بجوار نهر .

فقال المقاول وهو يشير الى مكان على الرسم الذى امامه :

ـ سيكون هنا منزلك ياسيدتى .

وعلى طول الطريق وهما عائدان الى شيكاغو كانت تتحدث عن المنـــزل . وقـــالت :

ـ ليس هذا منزلنا الحقيقى ياستيف ، كما انه ليس ذلك الذى ستشتريه لى فى يوم من الأيام ، ولكن يمكن أن يكون بيتا مؤقتا ، وسوف أجعل منه شيئا جميـــلا .

ولم يتحدث معها عن مهمته ، وعن الاسرار الكبيرة التى يعتبر مسئولا عنها الآن . ومع ذلك كان يتوق لأن تقتسم معه بعض حياته لقد حدثته حين ماذا يعنى أن تكون هناك امرأة تستطيع أن تقتسم معه حياته العلمية الداخلية . وقال على الفور :

ـ اننى اريد المساعدة . انك بتحويلك المنزل الى شىء جميل ، فانك تحفزين الاخريات على ان يفعلن الشىء نفسه . فالرجـــال

ليسوا اسعد ابدا من زوجاتهم .. هل تعرفين ذلك ياهيلين ؟فامرأة ساخطة يمكن ان تقضى على عمل اى رجل . لقد رأيت ذلك يحدث مرة ومرة فى المعمل . ولانستطيع ان يكون بيننا رجل يعوقه عن العمل متاعبه فى البيت . الا تسمعين النسوة وهن يعربن عن شكواهن من هذه البيوت الخشبية القبيحة وانهن بعيدات عن بيوتهن وكل ما اعتدن عليه ؟ سوف تكون هذه المهمة كبيرة بالنسبة لك ومهمة جدا كذلك .

وفى شهر ديسمبر اعترف بان هيلين ذات قيمة كبيرة له وانتقلا الى المنزل الخشبى الصغير وفى شهور مابين الربيع والشتاء انتهى بناء المصنع وتم تشغيل المغناطيس الكبير كذلك تم بناء المفاعل الجديد واخذ ستيفن يفكر فيما بينه وبين نفسه ويقول ان هذا المبنى ليس جميلا فى شكله ولكنه جميل فى طاقته ففيه امل المستقبل للانسان عندما تنتهى هذه الحرب اللعينة وجاء الجنرال لزيارة المدينة الجديدة التى كان يتدفق اليها كل يوم وفير من الناس حتى اصبحت فى النهاية تضم خمسة وسبعين الف نسمة وشيدت مدارس اخرى وبنيت الكنائس وبعض المستشفيات ومسرح صغير وناد للموسيقى .

وفى هذه الاثناء لم تستطع جين أن تبقى فى عملها اكثر من ذلك وطلبت من بيرتون هول ان يعفيها من منصبها كمساعدة له وكثيرا ماناقشها فى هذا الموضوع واستعطفها بل واتهمها بانها تحب شخصا آخر ولكنها كانت تنكر ذلك كله وتقول :

ـ انك عالم يابيرت ويجب أن تدرك ان العالم لايكون سعيدا الا اذا كان فى عمله هو .

فاجابها بغضب :

ـ ولكنك امرأة .

فصرخت فى غضب :

ـ انني عالمة قبل كلّ شيء متى تعركون ماذا نستطيع أن نفعل دون النظر الى من تكون ؟ يجب أن أذهب ».

وازاء تصميمها سألها :

ـ اين تريدين أن تذهبي ؟».

فاجـــابته :

ـ اريد أن اعمل في المشروع الجديد فلدى افكار جـــديدة من البلوتونيـــوم .

فتركها وذهب الى ستيفن كوسنت في معمله ودار بينهما حديث عميق فكل منهما لم يقابل الاخر منذ عدة شهور وقضيا اليوم في التنقل من مبنى الى مبنى وانتهيا الى مصنع الانتشار الفـــازى الجـــديد وهو على بعد اميال من المدينة الجديدة لم استدار الى

مفاعل الجرافيت ووقفا أمامه طويلا ينظران اليه في رهبة وحب ، وكان هذا المفاعل يعمل منذ شهور على خير مايرام وقال ستيفن :

ـ عندما تنتهي هذه الحرب ستنتج نظائر البحث في كل مناحي الحياة البشرية ، من علم الاحياء والطب والزراعة والصناعة متى ستنتهي هذه الحرب يا بيرت ؟»

ـ بعد ان ننتهي مهمتنا بيوم واحد .

ـ ومتى هذا اليوم ؟»

ـ لم يحدد بعد فالجنرال لا يتحدث عنه وكل قرار يتخذه يقوم على أساس الوقت واذا تأخر المشروع يوما فانه يرفض .

فقال ستيفن :

ـ لقد سمعت اننا كنا نستطيع أن ننجز هذا المشروع في وقت أسرع بدون رجال الجيش أو رجال الصناعة .

فقال بيرتون هول :

ـ اننا لا نستطيع أن نغير ذلك الآن .

وعاد الرجلان الى المكتب وجلسا واغلق ستيفن الباب وسأل بيرتون هول :

ـ الى اين ستذهب عندما تخرج من هنا ؟ .

فاجابه بيرتون هول بقوله :

ـ سوف اعود الى شيكاغو فلدى مهمة يجب أن انجزها مع مهندس شركة كانادى فاريل انهم رجال اكفاء ولكنهم ليسوا علماء ويجب ان نعلمهم هل تدرك ماذا نفعل ؟ لقد فتحنا أبواب الكون ونحن ندفع الناس الى عالم جديد يرهبهم وسوف يباركوننا او يلعنوننا ان هذه الطاقة الذرية اقوى من الطاقة الكهربائية بملايين المرات ماذا كان يمكن ان يقول ابى ؟ كان سيقول اننا فتحنا أبواب السعير .قد تكون فعلنا ذلك بالفعل .

فقال ستيفن :

ـ ارجوك لا تتكلم ، لا يمكن ان تكون بهذه الطريقة .

وفى المساء رقد على سريره بلا نوم وفجأة تذكر انه لم ير جين فهى لم تات معه ولكن ترى أين هى وماذا تفعل ٠

وفى اليوم التالى طلب ستيفن كوست-بيرتون هول ليطلب منه ان ينقله من المشروع ووافق بيرتون هول وأبلغ ستيفن زوجته بأنهم سيغادرون هذه المدينة فى اليوم التالى ٠

قال ستيفن لجين :

ــ هذا ما حدث لقد مضى أسبوع ولم يجدا فرصة للكلام الا فى هذا اليوم ٠

والآن وفى وقت متاخر بعد الظهر صارا فى الطريق المؤدى الى سلسلة الجبال وصعدا الدرجات الصخرية ونظرا الى جين التى كانت تتبعه وقال :

ــ شىء جميل ان يكون مع الانسان شخص يتحدث اليه ويعرف ما اتحدث به ٠

فقالت جين :

ــ اننى لسعيدة اذ رايتك يا ستيفن ٠،

فقال لها :

ــ لقد كنت مع بيرتون ٠،

فقالت :

ــ بيرتون هول ليس انثا ٠

وجلس كل منهما بجانب الآخر وتلامست أيديهما فاثارت اللهيب واحس برعشة الدماء فى عروقه ، كان يريد ان يتحدث ولكن لم يكن يجرؤ فهو فى حالة مفزعة ولا يجب أن يخلط هذه العاطفة بالحب فهو يحب زوجته وبصعوبة استطاع أن يسيطر على نفسه فى الطريق وهو عائد الى بيته فى العربة مع جين بل بكثير من الصعوبة لأنه لمح فيها نفس الرغبة تجاهه وهذا دون أن يكون هناك حب بينهما ثم استدار اليها وقال :

ـ جين اريدك ان تعرفي انني لم اكن اعرف انك هنا عندما طلبت من بيرت أن ينقلني الى هذا المكان .

فسألته :

ـ الم تكن تأتي لو عرفت ذلك ؟!

فاجابها بتردد :

ـ « لا اعرف » .. نعم كنت سآتي لانني اريد ان اعمل في هذا السلاح انني اشعر بانني مضطر لان اعمل فيه .

وتردد مرة اخرى حتى اضطرت هي أن تتكلم فقالت :

ـ واصل حديثك لا يجب أن تخاف مني وانا لن اخاف منك اننا علماء أولا .

وبعد ان قالت ذلك مضت في طريقها اسفل الجبل .

وفي ذلك المساء وعلى مائدة الطعام وفي منزل يشبه المنزل الذي كان في تينيسي توقف ستيفن عن الطعام وقال لزوجته :

ـ اريدك ان تعرفي انني لا انوى أن ارى جين وحدها عندما اكون هنا .

فصاحت فيه :

ـ لم تخاف ان تراها وحدك لا بد انك تحبها ؟!

فقال والم صادق ينبثق من عينيه السوداوين :

ـ انني لا احبها ولا اريد أن احبها ولا اريد ان احب احدا سواك .

فقامت ووضعت ذراعيها حول عنقه ومسحت بخدها حول شعره وهمست :

ـ انك تقطع نياط قلبي يا ستيف .

وجاء ربيع عام ١٩٤٥ واجتمع الجنرال وبيرتون هول و « ستارلي » ليتدارسوا الأمر وليعجلوا بالعمل والهمك ستيفن في عمله حتى يخرج هذا السلاح الى الوجود وكانت زوجته في هذه الاثناء وبسبب انشغاله عنها تخرج كثيرا الى النزهة مع زوجات

العلماء الآخرين فالعلماء مشغولون فى عملهم الرهيب وفى يوم من الايام جاءته مكتملة الزينة وكان عاكفا على معادلاته فلم يأبه بهـا وسالته :

ـ هل تحبني هكذا ؟.

ولم يرفع بصره عن الورق الذى أمامه وقال :

ـ كيف حالك الآن ؟.

فقـــالت :

ـ هل تعتقد أن سؤالك هذا هو الرد الا ترى أن تغــيرا طرأ على ؟.

فاخذ يتفحصها وقال :

ـ هناك تغير واعتقد ان كلانا قد تغير . فكلانا مشــغول ، انا بالمشروع الذى أعمل فيه وانت بما تفعلينه لهذه العائلات ، وانى لاعجب بك كثيرا فانا أعرف ان الهدوء والطمانينة التى يعمل فيها رجالي بسببك أنت .

ـ ولكن ماذا عن الحب بيني وبينك ؟.

ـ ان كل ما أفعله من أجلك واذا لم يكن هذا حبا .

ونظر الى عينيها المستعطفتين انها أجمل من اى وقت مضى ثم قال لها بصوت عال :

ـ لسوف أكون مسرورا جدا عندما ينتهى هذا كله فحينئذ سوف أبنى لك المنزل .

فسالته :

ـ ومتى سينتهى ؟.

فاجابها بقوله :

ـ بعد شهور قليلة .

ثم عاد الى مكتبه لقد كان على حق عنــدما قال ان الأمر لن يستمر طويلا فقد بدأت المواد تأتى من تيليسى ومن المنطقة الشمالية الغربية وسوف يكون هناك ما يكفى قريبا جدا من أجل أول تجربة

بحقيقية ثم اخــذ يفحص الأوراق التى امامه للمشروعات والخطط والطرق المحتملة لصنع القنبلة ثم انغمس فى تفكير عميق وامسك بالقلم واخذ يكتب مذكرة الى رئيسه جاء فيها :

ــ اننى ارى أن المسألة لم تعد تتعلق بما اذا كان هذا السلاح سيعمل ام لا ولكنها تتعلق بمدى فاعليته وان تهناتى لتؤكد لى انه فى خلال اربعة شهور سنكون قد انتهينا من أسوأ سلاح وافتك سلاح اوجده الانسان فهذا السلاح يمكن ان يدمر مدينة باكملها وآمل الا يحدث ذلك ولكن الرئيس يجب أن يعرف كل شيء ولديه فسحة من الوقت لكي يفكر فيه .

وفى صبيحة اليوم التالى فاجأته جين وهو يفحص مع احد مهندسى الكهرباء الضوء المسلط خطا على المفاصل واستدار اليها وكانت تقف على عتبة الباب بمعطفها المعملى ويداها فى جيبى المعطف وقالت :

ــ هل يمكن ان أراك على الفور .

فاصدر الى المهندس الكهربائى بعض التعليمات ولحق بها وسارا معا فى الممر عندما قالت جين :

ــ لقد اكتشفت احتمالا رهيبا اريدك ان تفحص معى الارقام التى وصلت اليها .

ــ انك صاحبة نظريات يا جين .

ــ قد اكون مخطئة .

وعندما دخل المعمل قدمت له ورقة وبعد ان درس الأرقام لمدة خمس دقائق صرخ فى فزع :

ــ ما هذا يا جين ؟.

ــ ماذا سنفعل ؟.

ــ اننا لا نستطيع أن نقرر أمرا فى هذا الاحتمال الرهيب .

ــ اذا كان هذا الاحتمال صحيحا فقد نتوقف جميعا .

ـ نعم ولكن من الذى سيقرر ذلك ؟.

ـ يجب ان نبلغ بيرتون هول .

ـ اتعرفين اين هو ؟.

ـ اعتقد انه مازال فى فيرمونت .

وانتظر بينما كانت تطلب جميع الاماكن التى يحتمل أن يكون فيها بيرتون هول واخيرا رن جرس التليفون فى منزل بيرتون هول حيث ردت زوجته ثم راحت توقظه من النوم وسحب نفســه فى تثاقل حتى وصــل الى التليفون الذى كان فى المطبـخ حيث كانت تعمل زوجته وسمع جين تقول :

ـ ان هناك شيئا خطيرا اعتقد انا وستيف انك يجب أن تعرفه.

ـ الآن ؟.

ـ نعم فسوف نستقل قطار المساء .

ـ سوف اقابلكما فى المحطة.. ان هناك قطــارا واحدا فى اليوم هنا .

ووضعت جين السماعة ثم نظرت الى ساعتها وقالت :

ـ امامنا اربعون دقيقة .

قال بيرتون هول :

ـ انى لا استطيع ان اتحمل المسئولية وحدى دعينى أطلع على هذه الارقام بنفسى .

فاخرجت المذكرة من حقيبتها وسلمتها الى بيرتون هول وهى تقــول :

ـ انه مجرد احتمال بسيط كان يمكن ان اتحدث عنه ولكننى مضطرة الى ذلك فالحرارة الشديدة نتيجة الانفجار يمكن انتحرق الهيدروجين فى المحيطات او فى الجو حتى أن الأرض يمــكن ان تتبخــر .

وتصبب وجهه عرقا واخرج منديلا من جيبه واخذ يمسح به العرق وفى ذلك الوقت كانت الطيور تغنى فى الغابة نغمـــات

بحلوة صافية وكان الصبية يصطادون على ضفاف البحيرة وكان اليوم مشرقا وجميلا . ان الدمار شيء مستحيل لا يمكن ان يصدقه وانتفضت جين تقول :

ــ هكذا كان يجب على ان ابلغك .

فقال بيرتون هول :

ــ وانا لا استطيع ان احمل المسئولية ويجب ان نقرر معا ماذا يجب ان نفعله .

فقال ستيفن :

ــ ما رايكم فى ان نبلغ الجنرال ؟ »

ولم يوافق بيرتون هول وقال :

ــ العلماء يا ستيف .

واصر ستيفن على كلامه وقال :

ــ ولكن كيف .. ما هى الفرصة التى امامنا . ان عليكم ان تحددوا الحد الذى لا نمضى بعده .

ولم يجب بيرتون هول .. ثم قال بعد فترة صمت :

ــ اذا كانت هناك ثلاثة اعشار الفرصة فى المليون ، فسوف ابلغ العالم بذلك ، واوقف العمل كله . اما الآن فيجب أن نمضى فى فى المهمة والآن ساوصلكما الى المحطة .

وبعد ثلاثة شهور ، وبينما العمل مستمر ، سلم مائة من العلماء تقريرهم . ان هناك اقل من ثلاثة اعشار فرصة فى المليون بأن الارض يمكن ان تتبخر . وقرأ بيرتون هول التقرير وطلب ستيفن وجين .. وعندما حضرا قال لهما :

ــ انظرا الى هذا التقرير .. ماذا نستطيع ان نفعل سوى ان نمضى فى العمل .

فقال ستيفن :

ــ لا شيء .

ونظر بيرتون هول الى جين وقال :
– هل توافقين ؟.
فهزت كتفيها :
– ان القاعدة خطأ ، وان كل شيء خطأ منذ البداية . انه لم يكن يجب أن نفعل هذا لنفس السبب الذى نفعله من أجله .
وزمجر بيرتون هول :
– لا نستطيع أن نتوقف الآن ..
ونظرت الى كل من الرجلين وقالت :
– لم لا نستطيع أن نتوقف ؟ كيف جئتم بنا الى هذا المكان الرهيب ؟.
وبدات تبكى وتقول :
– ان كلاكما طيب وخير ، فكيف حدث هذا ؟.
وخرجت تجرى من الحجرة . ولم يتبعاها . وطوى بيرتون هول التقرير ووضعه فى درج المكتب وأغلق عليه ، وقال :
– سوف نعود الى العمل يا ستيف .
وبعد شهر واحد وقعت الحادثة . كان من بين الذين يعملون مع ستيفن كوست وكلهم من العلماء الشبان الذين لا يزيد سنهم عن الثلاثين واحد يدعى « ديك فيلدمان » ذو استعداد تكنيكى رائع وصاحب نظريات جريئة ولكنه مهمل فى التجارب . ومن بين الأفكار الرائعة التى يخرج بها نجد تسعة وتسعين لا فائدة منها أما الفكرة الأخيرة فانها تكون صائبة لا يمكن الاستغناء عنها . والآن استطاع أن يقوم بتجربة بسيطة وهامة فى قياس التفاعل المتسلسل . وقد حذرت جين ستيفن ما يفعله « فيلدمان » . لقد سألته فى يوم من الايام وهما يسيران فى الممر :
– اعتقد انك تعرف ما يفعله فيلدمان ؟.
– نعم اعرف .

ـ اذا لم تمنعه من الطريقة التى يصنعها بها فسوف يقتل نفسه واى شخص آخر يتصادف ان يكون بالقرب منه .
فوعدها ستيفن بأن يتحدث معه فى هذا الموضوع .

ومضى كلٌ منهما فى اتجاه مغاير للآخر ، وماطل فى تنفيذ وعده ، وكان ينوى كل يوم ان يرسل فى طلبه ويذكره بأن العالم ليس له الحق فى ان يجازف بحياته ويعرض حياة الآخرين للخطر بسبب الاهمال فى الطريقة . وبعد ذلك نسى وعده . ولكن حدث بعد فترة ، وبينما كان ستيفن يجلس فى اجتماع مع بعض العلماء ينتظر بيرتون هول ، أن رن جرس التليفون على مكتبه . وأمسك بالسماعة وهو ما يزال يقول موجها حديثه لهم :

ـ يجب ان نستعد لاجراء أول تجربة فى خلال الأيام العشرة التالية .

وتوقف فجأة . كانت جين على الطرف الآخر . وكان قد افتقدها منذ اليوم الذى قضياه عند البحيرة ، وكان يتوقعها ان تأتى ، ولكن لم يكن يسأل عنها عندما لا تأتى .

ـ ستيفن ؟.
ـ نعم .. ماذا تريدين ؟.
ـ لقد وقعت حادثة .. ورهيبة .. ديك فيلدمان .
ـ ماذا جرى له ؟.

ـ لقد انزلقت يده وهو يوضح لأحد العلماء الشباب كيف يعمل فى تجربته . فقد تماست مقذوفات اليورانيوم وحدث ماس رهيب .

ـ يا للسماء ...!

ـ وشتت ديك المادة بيديه حتى ينقذ الرجلين الآخرين . وقد أصيب اصابة خطيرة . وقد أصيب آخر . أما الثالث فقد جرى هاربا . وديك الآن فى المستشفى . وسوف أبقى معه . وأريدك

ان تعرف السبب فى اننى لا اقابلك ، واين انا من الآن حتى النهاية .

ـ القصدين ...

ـ ليست هناك فرصة امام ديك .. فليس له عائلة »

ووضعت السماعة .. اما هو فتحول الى الرجال الذين معه وقال :

ـ لقد وقعت حادثة ضحيتها فيلدمان . وانى مضطر للذهاب الى المستشفى . انها التجربة اللعينة التى يقوم بها ، لقد وضع حاجزا بين شقى النيوترون ولكن هذا الحاجز انزلق .

وتركهم ستيفن ، وكل منهم يتفوه بعبارة املاها الموقف بعد هذه الحادثة ، واسرع الى المستشفى ، كان الجو هناك كثيفا وصامتا .. وارشده رجل الاستقبال الى الحجرة فهرع اليها وفتح الباب كانت جين هناك بجانب السرير الذى يرقد عليه « ديك فيلدمان » وكان مبتهجا ولكنه شاحب .

ـ تعال يا ستيف ...

ولم تتكلم جين .. كانت تفحص تقريرا من المعمل ، ورفعت بصرها عندما دخل ستيفن ، واومات دون ان تبتسم . وقال ستيفن :

ـ ماذا يفعلون لك هنا ؟.

وجذب كرسيا صغيرا واقترب من السرير . فقال فيلدمان :

ـ كل شىء ان يدى تؤلماننى . وهذا السبب فى انهم يلفونهما بالثلج .. لقد امسكت المادة .. وكان يجب ان امسكها .. كنت فى عجلة . كان لدى موعد مع فتاتى .. كنا سنقوم بنزهة فى احدى القرى الهندية . فهى لم ترها . ان اجازتى تبدا غدا وكنت اوضح للزملاء ...

وتوقف .. ليتنفس بصعوبة . وقالت جين :

ـ هل يزداد الالم سوءا ..

فقال :
ـ فى يدى .
وتطلع اليها وانفجر العرق من جبهته وهمس :
ـ اشعر بالالم .. اشعر بالالم الشديد .
وبحثت عن وعاء ، ورفع نفسه فوق السرير ، ثم تقيأ فيه .. وحملقت جين فى ستيفن وقالت :
ـ ناد الممرضة .. ويجب ان اتحدث معك يا ستيف .. اننا نستطيع ان نعالج اشعة « جاما » ولكن اشعة النيوترون ...
ولم تكمل فقد عاود فيلدمان القىء واسرع ينادى الممرضة .
وفى اليوم التالى خرجت جين مع ستيفن من حجرته وسارا معا فى الممر . وقالت جين :
ـ انه اهدأ الآن .
فسألها ستيفن :
ـ هل قال الطبيب شيئا ؟
ـ ما يزالون يجرون الاختبارات .. ويأخذون عينات من الدم بالطبع كما يحقنونه بالبنسلين .. كذلك هناك عملية نقل دم .
ـ دم من ؟
ـ دمى .. ولكن هذا لا يهم . كنت بالقرب منه ، ولدى الدم المناسب .
فقال ستيفن فى صرامة :
ـ لا تقدمى اكثر من ذلك .. انك ترتادين نحافة . لقد لاحظت ذلك .
ـ ولكنى لم الاحظ ذلك .. وسوف اقدم المزيد ، اذا كان ذلك ضروريا . انه نمط غير عادى . ليس من السهل جدا أن تجده .. ولكن قد لا يكون هناك وقت .
ـ تعنين .
ـ انها مسالة ايام قليلة .. هذا هو كل ما فى الامر .. لم ان

واجهة جسمه تحترق • فالألم الذى فى ذراعيه يزحف على بقية جسمه ..

ـ ولكن ماذا حدث للآخرين ؟.

ـ ان الذى هرب لم يصب بشيء .. أما الآخر فسوف يفقد شعره ٠٠ فى جانب من راسه على اية حال، ولا يجب أن يحلق لمدة شهور قليلة ، ولكن الطب سوف ينقذه ، وقد يصبح عقيما.. أنا لا اعرف .

ـ هل لديه أطفال ؟.

ـ اثنان .. وهذا من حظه وحظ زوجته . ويجب ان اتذكر واسال عن اسنانه .

ـ اسنانه ؟.

ـ نعم ٠٠٠ فقد تكون الثغرات بينها مليئة بالاشعاعات ، التى يمكن أن تحرق اللثة .

ـ وماذا يمكن أن يفعله حينئذ ؟.

ـ يخلع أسنانه ..

ـ كيف عرفت هذا كله ؟.

ـ لقد كنت أدرس أثر الاشعاعات على الفيران ... اننى فى رعب . والآن هل تعرف ماذا سيحدث لهذا المصاب فيلدمان ؟.

فسألها ستيفن بصوت منخفض :

ـ أليس هناك أمل بالنسبة له ؟.

ـ أى أمل ؟ فسوف يتحلل .. وسوف يصاب بالغرغرينا .. كذلك سوف تمتصه الاشعاعات التى فى جسده . وسوف ترتفع درجة حرارته ، وسوف تقل كرات الدم البيضاء .. واخيرا سوف يخرج عن صوابه ويفقد عقله .

فتمتم ستيفن قائلا :

ـ انك تعرفين كل شيء .

فقالت :

ـ لن اتركه .. سوف ابقى معه حتى النهاية . أليس هناك آخر يفعل ذلك .

وتصافحا ، ووضع يده على يدها وقال :

ـ كنت اتمنى ان ابقى معك يا جين . ولكننى لا استطيع لقد استعد الجميع للتجربة الكبيرة . انها ساعة الصفر .. وانى مضطر لان اذهب .

فقالت له :

ـ اعرف ذلك .

ثم تقابلت عيونهما ... وافترقا .

وفى الأيام التالية لم تكن تغادر حجرة المريض الا لتأكل فى سرعة أو تنام قليلا حتى تستطيع أن تظل مستيقظة .. وعاشت ساعة بساعة مع الرجل الذى يموت . وكان الاطباء والممرضات يعتنون بالجسد المتحلل ، وكان العلماء والمسئولون يروحون ويجيئون ، ولكنها بعقله وروحه عاشت وواجهت الموت . وكثيرا ما تحدث اليها .. عن النيران التى تشتعل فى أحشائه وفى معدته رغم الثلج الذى يلفه . وكان يسألها « حدثينى عن بيتك » .. « حدثينى عن والدتك » .. وكانت تحدثه .. وكانت كلما اثارت شيئا بكلامه ينساق فى حديث قصير عن نفسه .. وسألته جين :

ـ اين ترعرعت ؟

وقال لها :

ـ فى ملجأ للايتام .. ولم تكن الحالة سيئة كان هناك الكثير الذى نأكله .

ـ ولكن كيف أصبحت عالما ؟

ـ كان هناك رجل غنى فى الكنيسة . وسمع عنى .. ودفع عنى « الدوطة » لتعليمى . ولكنه لم يحدثنى ابدا . فقط قدم النقود الخاصة بتعليمى . وبدلا من الذهاب الى الجيش بعثوا بى

من الكلية الى هنا . كنا اثنين .. ولكن الزميــــل الآخر ذهب الى مكان آخر . انك اول فتاة اراها تعمل بالعلم . هل تعتقدين أنهم سوف يستخدمون القنبلة ؟.

ـ لا .. اننى على يقــين انهم لن يســتخدموها .. اننى لا استطيع أن أتحمل ذلك .

ـ اعتقد انهم سيفعلون اذا ارادوا ذلك .. ان صدرى يؤلمنى بشكل فظيع .

وظلت بجانبه ليلا ونهارا حتى النهاية ، عندما تشتت عقله فى كل مكان . وفى اليوم السادس مات .. قبل الفجـر ، وكان الألم الغامض الذى شعرت به يكاد يقترب من الحب .

واقتربت ساعة الصفر .. وذهب ستيفن يقود موكبــا من العلماء وكبار الجيش الى مكان التجربة . وامســك احد رجال الجيش الميكرفون وأخذ يتكلم عن التجربة ومن قوة التفجير ومن اقتراب ساعة الصفر ثم تطلع الى بيرتون هول وسأله :

ـ هل هنـــاك شيء آخر ؟. ان الجنـــرال و « بوب » رئيس المشروع فى المركز الجنوبى مع المساعدين .

وتردد بيرتون هول .. ثم امسك بالميكروفون وقال :

ـ ان هناك صوتا واحدا افتقده الليلة . وهو صــوت رجل لم اره أبدا الا على شاشة التليفزيون . وأحب ان اقول اننى لم انتخبه لاجعل منه رئيسا . لقد كنت دائما انتخب الرجل الخطأ . وانتم تعرفون من أعنى . لقد مات فى ابريل الماضى . ولكنى اشعر أنه هنا يطل علينا من مكان ما . لقد كانت لديه الشجاعة ليعطينا امرا بالمضى فى العمل . وكذلك الجرأة على انفاق المـال . بليونان من الدولارات . وسوف تكون اكثر النفقات حكمة واقتصادية صرفت فى تاريخ الجنس البشرى . وقد تكون أكثر الخسارات خيـالا وغرابة . واننى اتكهن بالنجاح .

وبعد قليل قال ستيفن :

ـ اننا على استعداد فى الوقت المحدد .

وانتهت العاصفة التى كانت قد هبت منذ قليل . ووقف بجوار « الانتاج » الذى يحمل المستقبل داخل شكلها المعدنى . ولم يعد يخاف ، أو يشعر باليأس فالظلمة تحيطه فى الداخل والخارج ؟ وفى هذه الظلمة رأى فقط وجه جين . انه لو عاش بعد هذا التفجير فسوف يعود اليها . وسيقول لها انه يحبها . سوف يواجه حقيقة نفسه معها .

وفى الصمت الرهيب أمسك ستيفن بالميكروفون . كانت الساعة الخامسة وعشر دقائق . وخلف الميكروفون وقف جامدا حتى كاد يشعر انه ميت . ولكنه تكلم ، أعلن الوقت كل خمس دقائق ثم كل دقيقة وعيناه على ساعته ، وبدأت الدقيقة الأخيرة .. وبدأ يعد بالثوانى حتى وصل الى الصفر .. واستدار بظهره فى هذه اللحظة ليرى الجو ينفجر فى ضوء يعشى الأبصار . وفجأة دوى انفجار هز الأرض وشعر بأن أذنيه تصدعتا . كما لو أن يدا كبيرة ضربته ، وسقط على الأرض . وظل فاقد الوعى لحظة لم قاوم حتى نهض وعبر الحجرة كان بيرتون هول يرتعد . وفى صمت تام حملقوا جميعا فى هذا الشكل الرهيب المتحرك الذى أطلقوا سراحه . ثم تكلم بيرتون هول :

ـ لقد ذهب البرج ..

ثم نظر عبر التليسكوب ..

ـ انه لم يعد له وجود .

واختطف ستيفن التليسكوب وبحث فى الصحراء على بعد عشرة أميال . وصاح بيرتون :

ـ لقد فعلناها .. لقد فعلناها ..

والقى بذراعه حول كتفى ستيفن وبدأ يبكى ويضحك ، ويقول :

ـ سماء جديدة ، وأرض جديدة .

فقال ستيفن ؟

ـ عصر جديد ..

ـ ٤ ـ

وكانت نتيجة هذا الانفجار الرهيب أن برد الهـــواء والتهت الأسابيع التى لا تطاق من الحرارة الشديدة وهبت رياح رطبـــة وتسللت الى النوافذ المفتوحة واستيقظت جين فى سريرها وأخذت تتذكر ذلك اليوم . فقد ذهبت الى سريرها فى وقت متأخر ليلة أمس وهى لا تستطيع أن تنام ، كانت ليلة الصـــفر وكان يجب أن تكون هناك مع ستيفن وبيرتون هول وبقيـــة الرجال وقال بيرتون هول :

ـ فرصة كبيرة ضاعت منها ..

واضاف :

ـ لست عالمة اذا ضاعت منك هذه اللحظه .

قال لها ذلك اول أمس عندما كانا يقومان بقياس الحـــرارة المرتفعة للمفاعل الجديد ، وفكرت لحظة قبل أن تقول :

ـ لا أستطيع أن اذهب ففى هذا اليوم ستشيع جنازة فيلدمان وليس هناك سواى ، كذلك لست على يقين من انني أريد أن أرى هذا العمل الكبير ..

فقال لها :

ـ دعى الموتى يدفنون الموتى ، انك عالمة اولا واخيرا ، وقـــد كنت تقولين ذلك لى عندما كنت أحاول أن اكون رقيقا معك .

ولم تجب جين فمن ذا الذى يعرف من هى ؟ انها لا تعـــرف نفسها فهى فى حالة اضطراب شديد ولم تكن تتصور منذ سنوات أن فرحتها بالرياضيات سوف تؤدى بها الى هذا المـــكان الذى

تحيط به جبال انبثقت عن بركان قديم ومن الغريب أن تقارن كارثة هذا الانفجار القديم بما يفعله الانسان فى العصر الحديث .

وجلست فى سريرها وهى تشعر بالقلق ، يجب أن تكون هناك هذه اللحظة ، فسوف يعرفون الآن ما اذا كانوا قد نجحـــوا فى التجربة . وهذا سر بالطبع ولكن الاسرار لا تخفى عليها وربمـــا تكون العاصفة قد أجلت التجربة او ربما تكون قد فشلت . وعلى الفور نهضت من سريرها واغتسلت ومشطت شعرها ولفت نفسها كما هى عادتها عندما تكون وحدها - برداء هندى ، لقـــد كانت ترتديه وهى طفلة ، ومازالت هذه عادة عندها حتى انها عنـــدما ترتديه يخف التوتر فى نفسها .

كان الصباح رائعا بعد العاصفة ووجدت نفسها تغنى وسعيدة بالرغم من نفسها ، فهل هناك دائما مستويان للحياة بالنســـبة للمرأة لا على اية حال هناك هذا المستوى الطيب الذى تعيش فيه ، سوف تتناول فطورها فى الشرفة ووضعت الغلاية على النار وبدات تعصر بعض ثمار البرتقال وحينئذ سمعت صوت ســـتيفن على الباب ، وقفت وهى لا تصدق نفسها فكيف يجيء ستيفن فى هذه الساعة من اليوم وسمعته يناديها واسرعت ففتحت الباب ، وكان ستيفن يقف والتعب يبدو على وجهه وسالها :

- لم انت هنا . لماذا تركت المعمل ؟.

فقالت فى غضب :

- كيف يمكنك ان تفكر اننى أستطيع ان اترك هذا العمل .

- ولكنك تركته . لقد كنت هناك ولم اجدك .

- لقد تركت بيت النساء فقط اذا كان هذا ما تعنيه ولن أذهب الى هناك بعد ذلك وبعد جنازة فيلدمان سوف أكون وحدى وقـــد استاجرت هذا المنزل منذ يومين .

فتمتم وهو يقول :

ـ يا الهى ، انك فى بيت جديد كما لو أن كل شيء قد رتبته الأقدار .

ثم جلس على كرسى المطبخ واخذ يحملق فيها وسألته :

ـ ماذا تعنى وما هو هذا الشيء الذى رتبته الاقدار ؟.

ـ هذا الذى جئت احدثك منه .

ـ هل تناولت فطورك ؟.

ـ لم اتناول طعاما منذ يومين الا تعرفين ما حدث ؟.

ـ لا .. فقد بعثت برسالة الى المعمل بأنى لن احضر لمدة ثلاثة ايام .

ـ الا تريدين أن تعرفى ؟.

ـ اريد أن اعرف شيئا واحدا فقط هل نجحت التجربة ؟.

ـ نجاحا هائلا .

ـ لا ترد الآن ، اذهب واغتسل وسوف أصنع لك الفطور .

ونهض وهى تراقبه وهو يجر نفسه جرا فقد حدث شيء له ، شيء أكثر من النجاح كانت تتمنى لو فشلت التجربة فقد كان يمكن أن يكون امامهما فسحة من الوقت . لماذا ؟ لا تدرى . وبعد أن اعدت الطعام جاء ستيفن وهو يبدو نظيفا وقالت :

ـ اجلس فقد جعت ولا تتحدث .

وتنهد ثم جلس وصبت له كوبا من عصير البرتقـال وجلست قبالته وسألها :

ـ ما هذا الذى ترتدينه ؟.

فأجابت وهى تضحك :

ـ انه سارى هندى وأنا ارتديه عندما اكون فى المنزل .

فقال لها :

ـ اننى احب هذا السارى عليك فهو يبدو مريحا .

فوافقت على كلامه ثم ساد الصمت بينهما للحظات بينمـا كان يأكل فى نهم وصبت القهوة ثم تنهد اخيرا وارتكن الى الوراء وقال :

ـ انني احتقر نفسي .
ـ انني سعيدة جدا .
وأزاح الأطباق والفنجان جانبا وقال :
ـ والآن أتكلم ..
فوضعت يديها على أذنيها وقالت :

ـ ارجوك لا تتكلم سوف اسمع هذا كله هناك فسوف تكتبه تقريرا وسوف تنشر الصحف ذلك وتقول « تجربة ناجحة في صحراء نيفادا » وقد تغير العالم .

ـ ان هذا الحديث لك .. والحق أن العالم قد تغير بالنسبة لي على اية حال .

وانزلت يديها .. وتقابلت عيونهما . وبحث ستيفن عن غليونه وأشعله وقال :

ـ لا تقاطعيني يا جين . وبعد ان اقول ما لدي .. يمكنك ان تقولي ما تشائين . وارجوك ان تفهمي ان هذا ليس شيئا مباغتا . لقد وصلت الى ذلك في لحظة .. ولكنني اعددت لذلك كثيرا .

وشعرت بالرهبة . ولم ينظر اليها . بل انه تحول ببصره عنها وحملق في البركة المستديرة ، التي تلمع فيها اشعة الشمس التي بدأت تزحف على السطح المنخفض للمنزل . وبعد برهة قال لها :

ـ ان كل شيء كنت اكبته في نفسي ، وانكره عليها وأرفضه طيلة هذه الشهور بل هذه السنين ، منذ أن رأيتك لأول مرة ، قد تفجر الآن . انا لا استطيع أن اوضح . ربما كان توتر العمل من بين الأسباب . فأنا لا اعرف .. ولكن انا هنا الآن . وقد زال التوتر واعرف ما اريد . رفقة كاملة . انني اريدك انت .

وارتكنت براسها على يديها ، ومرفقاها على المائدة ، ولم تستطيع أن تجيب . وساد صمت عميق . قطعته أخيرا وقالت وهي لا تنطلع اليه :

ـ اننا لسنا اطفالا .

فوافق على قولها واستمرت تقول :

ـ وليس لى روابط .. ولكنك ...

ـ الا ترتبطين بدكتور بيرتون هول ؟ .

ـ ليس بالطريقة التى تقصدها ..

ـ ان لدى شعورا بانك تحبينه .. وربما يكـون ما حدث لى قد حدث له .

ـ لا داعى للحديث عنه .

ـ كما تحبين ..

ـ اما انت فمرتبط .. وانا احب هيلين .. وهى تحبك . وانا لا انافس .. ولا يجب ان انافس فانا عالمة . ولست مجرد امراة . ان لى شيئا خاصا بى .. اما هى فليس لها اى شىء .

وقام .. واخذ يذرع الشرفة جيئة وذهابا .. ثم وقف بجانبها وقال :

ـ لم تفكرين فيها فقط ؟ ولم لا تفكرين فى ؟ .

ـ ان لك شيئا خاصا بك . فانت عالم .

ـ لا تتفلسفى بربك .. فى هذه اللحظـــة . جين قبلينى .. قبلينى .

وجذبها اليه فصرخت :

ـ ستيف .

ولكنه لم يكن ليقاوم . لقد مضت فترة طويلة منذ أن رغبت فى أن تقبل رجلا . كانت ذراعاه حولها ، وكان فمها على فمـــه ، فى رقة فى بادىء الامر ، وبعد ذلك بدفء ، ثم بقوة مباغتة وعاطفة . وارتعشت وهى تستجيب له .. فمن المستحيل الا تستجيب ، انها تريد أن تستجيب .. وأن تستطيع ..

وانسحب اخيرا وجذب راسها الى صدره وقربها منه ، وخده على شعرها .

ـ الآن .. هل فهمت ؟»

فقالت :

ـ فهمت ؟ نعم .

ـ اذن انتهى الأمر .. سوف ابلغ هيلين »

وابتعدت عنه وهى تقول :

ـ لا .. لا تقل .

ـ ولكن يجب أن اقول لها ، فكيف اعيش فى البيت ولا اقول لها .. اننى لا أستطيع أن اتظاهر » .

ـ لا تقل لها شيئا .. ان هذا شيء سريع جدا .

وحاولت ان تبتسم ، ولكن الدموع علقت برموشها وقالت :

ـ امهلنى بعض الوقت ...»

ونظر اليها لبرهة :

ـ سوف أمهلك .. ولكن لن اتغير أبدا ..»

واختطف الجاكتة من فوق الكرسى ومضى الى خارج المنزل .

ووقفت تنظر الى الحديقة وهى تتأوه وتقول :

ـ ماذا سأفعل .. ماذا سأفعل الآن ؟»

ثم جرت الى حجرة النوم ، وهى تفك السارى بينما تمضى . وارتدت ملابسها .. الى العمل .. الى العمل المبارك حيث تفكر فقط فى القوة الكونية ، وليس فى هذا الوميض الذى يتأجج فى قلبها .

بينما كان بيرتون عائدا الى العمل شعر بندم غريب غير متوقع . فبعد النجاح الكبير للتجربة ودع زملاءه العلماء ، وكان قد هنأ الجنرال ورفاقه .. وقال :

ـ اراكم فى المعامل .. ان المهمة التالية تلح علينا »

وكان كل واحد يعرف ما هى المهمة التالية . لقد استسلمت المانيا فجاة فى شهر مايو ، وباسرع مما كان متوقعا . وقبل ذلك

بشهر مات الرئيس . وكان بيرتون هول فى ذلك الوقت فى القطار فى طريق عودته من واشنطن ، عندما انتشرت الأنباء فى البلاد من مدينة صغيرة فى جورجيا تقول ان رئيس الجمهورية الأمريكية قد مات . واخذ يتذكر ما كان يقوله للعلماء من ان واجبهم ان يواصلوا اكتشافاتهم وان يحولوا مجرى الحضارة ، وكذلك فعل وزير الحرب الذى ناشد بيرتون هول ان يمضى قدما هو وعلماؤه فى هذا العمل . وقد وعدهم بيرتون هول بذلك . وهذا الوعد هو الذى يسدد الى صدره مثل الخنجر . وقد حدد الجنرال استراتيجية استخدام القنبلة . وفى هذه اللحظة ، ولأسباب لم يستطع أن يتبينها ، شق طريقه عبر الصحراء والسهول وذهب الى «اريزونا» والى معسكر معين بالذات حيث كان يسجن « ياسوا ماتسوجى » وراء الاسلاك الشائكة لانه من الأعداء . لقد عاش عشرين عاما فى البلد الذى اختاره يرسم صوره الغامضة الجميلة .. وتسللت هذه الافكار جميعا الى ذهنه المتشعب المضطرب وهو يقود سيارته عبر الصحراء ويتوقف متعبا على بوابات معسكر اريزونا للاعداء الأجانب .

واستطاع بيرتون هول بعد حصوله على الاذن أن يدخل المعسكر وانتظر حتى جاء « ياسوا » كان يمد كلتا يديه وقال :

ـ دكتور هول اجئت لترانى هنا ؟.

ـ اننى افكر فيك كثيرا ، كيف حالك ؟.

ـ تعال ادخل .

ودخل بيرتون هول ولم تكن هناك اية صور ولكن كان هناك فوق رف صغير مجموعة من الاشكال المنحوتة لم يستطع ان يتبينها بيرتون فى أول الامر فسأل ياسوا قائلا :

ـ ما هذه الأشياء ؟.

فضحك وقال :



ـ هذه اعمالى فالايام طويلة هنا ولااستطيع أن انام كثيرا لذلك فانى أقوم ببعض الاعمال .

فقال بيرتون هول وهو يشعر بشىء من الخجل :

ـ ولكنهاجميلة .

فقال ياسوا مبتهجا :

ـ لست انا الذى اعمل فهناك كثيرون يعملون بعض الأشياء فمن القبح أن نعيش هنا دون ان نفعل شيئا . فالبعض ينبت بذور الورود والبعض الآخر ينبت بذور الخضروات ، كلنا نعمل شيئا فيما عدا الكسالى وهم قليلون ، إجلس ، انثى آسف ليس عندى شاى .

وجلس بيرتون هول وقبالته هذا الرجل الرقيق الذى عرفه سنين طويلة ، ونظر اليه « ياسوا » دون ما حرج ، ولم يتحرج ، ان الحرج يقبع على الجانب الآخر وقد جاء بيرتون الى هنا ليقول لياسوا « يجب الا تختلط الامور بيننا فانت وانا كما كنا دائما » ولكنه لم يقل شيئا وجلس قرابة النصف ساعة دون ان يقول شيئا بينما كان « ياسوا » يثرثر فى تواد عن حياته ويتحدث فى أمل عن اليوم الذى يستطيع أن يعود فيه الى الرسم مرة أخرى فقد كان سبب المه انه لم يستطع أن يرسم واخيرا صافح ياسوا وخرج .

وبعد يومين ســال بيرتون هول عن جين ايرل فى مساكن العاملين فى المشروع واكتشف انها لم تعد تعيش هناك وانها تأتى الى العمل كل صباح ، وطلبها فى بيتها ودار بينهما هذا الحديث :

ـ ماذا تفعلين فى الصحراء ؟ .

ـ اعيش .

ـ هل تناسبك هذه الحياة ؟.

ـ انني اريد بيتا خاصا بى .

ـ وهل انت وحدك ؟ .

ـ بالطبع وحدى .

ـ اذن سوف آتي لأراك . هل تعدين الطعام ؟ ».
ـ نعم اعد الطعام لي .
ـ اجعليه لاثنين ».
ثم التقط قبعته وقال لسكرتيرته :
ـ قولي لزوجتي انني ذاهب لتناول العشاء مع جين ويمكن ان تلحق بي اذا رغبت ».
وكان الحديث قد كثر في المعسكر حول جين ايرل وحياتها بمفردها .
وذهب بيرتون هول اليها وتناول الطعام ودار بينهما حديث مرح وقالت جين :
ـ ان فيرمي يريدني ان اعود للعمل معه ».
فسألها بيرتون هول :
ـ وهل ستذهبين ؟ ».
فقالت له :
ـ لا أعرف . ان هذا يعتمد على مدى اهميتي الآن بعد ان انجز العمل ».
فقال بيرتون :
ـ ان العمل لم ينجز فالمسألة الآن كيف يستخدم هذا السلاح .
ـ يستخدم ، هل تفكرون في استخدامه ؟».
ـ ان الحرب يجب ان توقف أليس كذلك ؟».
ـ ولكن ...».
ولم تكمل لقد قاطعها بيرتون هول وامرها بالسكوت وان تنصت له ثم اخذ يتكلم ويقول :
ـ سأوضح لك الموقف لقد كان فيرمي على حق حين قال ان الألمان لم يصنعوا القنبلة ، كانت لديهم فكرة عن الانشطار ولكنهم لم يفكروا ابدا في البلوتونيوم ومنذ ثلاث سنوات تخلوا عن فكرة

اليورانيوم ولكنهم كانوا يحلمون بالمفاعل وفى شهر يناير كانوا ما يزالون يحلمون بذلك ولكن هتلر امرهم أن يتخلوا عن كل شيء لا ينتج السلاح فى خلال ستة شهور ونقطة الضعف الوحيدة هى أن الالمان لم يسيروا فى الطريق الذى سرنا فيه ، اننا هنا عملنا جميعا معا واستطعنا ان نستغل عقول العلماء الاوروبيين ونستخدم افكارهم وننتج السلاح ، ولكن ماذا سنفعل بالقنبلة هل نسقطها او لا نسقطها ، انه يجب أن ننهى الحرب ، فما هى الطريقة التى ننقذ بها معظم الأرواح ، واليابان هى العدو الوحيد ويجب أن تستسلم فكيف نكسب بأقل قدر من الدمار ، وقد تحدد تاريخ الغزو أول نوفمبر من هذا العام ، عام ١٩٤٥ وسوف يهبط رجالنا فى كيوشو جزيرة كيوشو الجميلة التى زرتها لمدة أيام قليلة وهى مدينة ساحلية لا مثيل لها فى العالم .

فقالت جين وهى تخفى وجهها بين يديها :

ـ لا تفعلوا ذلك أرجوك يا بيرت .

وواصل بيرتون هول حديثه قائلا :

ـ لقد قدر كل شيء ، فاذا قمنا بالغزو فسوف يموت نصف مليون أمريكى ومليونين ونصف من اليابانيين وهم لا يخشون الموت كما تعرفين ، اننا يجب ان نرهبهم وأن نظهر لهم مثل هذا السلاح الرهيب الجديد حتى يستسلموا .

فقالت جين فى همس :

ـ لا استطيع ان اسمع اكثر من ذلك .

ثم أضافت :

ـ اننا اذا استخدمنا القنبلة فسوف تكون بداية النهاية لنا جميعا ، كل شعوب الأرض .

وودعها وانصرف ومضت هى الى التليفون وطلبت ستيفن وصرخت وهى تقول له :

- أين انت ؟ يجب ان أراك الآن .

ومن بعد لم تستطع أن تقدره سمعت صوته يقول :

- جين لا أستطيع ان أحضر فالجنرال منتظر .

فلم تجب ولم تستطع أن تتكلم وجاء صوت ستيفن يقول :

- جين هل تسمعينني ، جين هل انت هناك ؟»

ولكنها وضعت السماعة في هدوء وحملقت في الحجرة وقالت بصوت مرتفع :

- لا ، يا ستيفن أنا لست هنا .

***

واستطاع بيرتون هول بصعوبة أن يفيق من الغيبـــوبة التى داهمته ، كان في سريره الكبير في منزله وقد تعجب ما الذى اتى به الى هنا فهو يتذكر انه كان في القطار وكان نائما وسال زوجته:

- كيف جئت الى هنا ؟.

فهدات منه ووضعت يدها على جبهته وقالت :

- لقد ارهبتنى .

- الم انم هنا ليلة امس ؟»

- انك راقد في سريرك منذ أسبوع .

واخذ بيرتون هول يتطلع الى السقف وهو لا يشعر بجانبـــه الأيمن . واخذ يسال نفسه أين كان .. فقد كان يتحدث مع جين وكانت مضطربة وكان يتحدث معها عن القنبلة والآن هو في سريره لابد أن شيئا قد حدث له واخذ يتذكر ولكنه لم يستطع وســـال زوجته ماذا حدث فقالت :

- عندما حملوك الى هنا كنت أعتقد انك قد مت فقد كنت في القطار عندما جاءتك الازمة .

- وماذا كنت أفعل في القطار ؟.

ثم ضحك واخذ يشرب الحساء الذى جاءت به زوجتـــه انه مريض والأزمة خطيرة ويمكن ان يمكث في السرير شهرا أو شهرين

لذلك فهو لن يذهب الى الجزيرة عندما تسقط عليها القنبلة ويمكن أن يحل ستيفن كوست محله .

في ذلك الوقت كان ستيفن كوست يقول :

ـ يمكنك أن تحصلي على اجازة باجر . لقد انتهت مهمتك بالنسبة للقنبلة،والمسألة قد خرجت من ايدينا الآن .

كانت جين قد خرجت من المعمل في صباح هذا اليوم من ايام يوليو بعد ارق طويل وبدات تذكر في دهشة هل حدث فعلا ان تناولت الفطور مع ستيفن ؟ كان هذا الحدث كحلم غامض عبر مخيلتها ، وربما كانت غلطتها انها طلبت منه مهلة ولكن الوقت قد مر .. خمسة أيام ، وستة أيام ، ولم يحاول ان يبحث عنها ، ومرض بيرتون هول كارثة بالطبع فان ستيفن سوف يتولى كل شيء ولكن هل يحتاج هذا كله الى أن يحدث هذا الصمت بينهما طيلة ستة أيام . ولما لم تستطع ان تتحمل ذلك ذهبت الى مكتبه هذا الصباح لتتبين الأمر . ولكنه يقترح عليها أن تحصل على اجازة وتساءلت الى اين ساذهب وماذا سافعل وقالت لستيفن :

ـ كيف استطيع أن اساعدك هذا هو ما اريد ان افعله .

فقال :

ـ انني لا اعرف ؛ انني مضطر لأن أتتبع ما يحدث وسوف اذهب لأرى بيرتون هول غدا حتى اعرف منه كل شيء .

ولم تجد ما يدل على أن هناك معركة بينهما وشعرت جين بجرح عميق . انه لا يفكر فيها . هو فقط يفكر فيما يفعله وقالت في نفسها انني اتصرف مثل اي امراة وانا لست كاي امراة ، فانا عالمة ونهضت وهي تكبح جماح نفسها وقالت :

ـ يمكنك أن تبلغني ان كنت أستطيع ان اقدم اية خدمة وفي هذه الاثناء لن احصل على اجازة سوف اعود الى معملي كالمعتاد وسوف اعكف على تجربة بعض النظائر وغريب اذا لم نعد نعمل في مهمة الحرب .

فقال لها :

ـ ان المسألة الآن تتعلق بالانتاج فنحن نريد أن ننتج ثانيـــة وثالثة ... الخ .

وخرجت جين وبعد ذلك طلب ستيفن كوست الجنرال وأعرب عن رغبته فى ان يراه ومعه ثلاثة من العلماء وتمت المقـابلة ودارت حول استخدام القنبلة وقال ستيفن للجنرال :

ـ انني متألم لما سمعته من اننا ننوى القاء قنبلة على العدو.

فسأله الجنرال :

ـ اذن لماذا صنعناها ؟.

ـ من اجل الدفاع لا من اجل ان نقتل آلاف الناس وارجوك أيها الجنرال ان تعرف ماذا سيكون وقع ذلك على الراى العام فى العالم اذا اسقطنا القنبلة على بنى البشر سوف تكرهنا شعوب العالم وترتاب فينا وتخافنا .

ثم قال طومبسون :

ـ وقد يأتى وقت نريد فيـــه من اجل ســـلامتنا ان نمنع استخدام هذا السلاح باتفاقية دولية فكيف سنبدو حينئذ اذا كنا اول من استخدمه .

وقال بوب ايفر :

ـ اننا فى موقف ضعيف الآن بعد أن استسلم الألمان فسوف يقول الآسيويون اننا انتظرنا حتى خرج الألمان من الحرب واسقطنا القنبلة على الاجناس الاخرى .

فقال الجنرال مزمجرا :

ـ لو اهتممت بما يقوله الناس لما فعلت شيئا لقد كلفت بمهمة وانا اقوم بهذه المهمة .

وانفض الاجتماع وعاد الجميع الى مكتب ســـتيفن فقـــال ستيفن :

ـ سوف نعرض الأمر على المسئولين فى واشنطن ».

وقال طومبسون :

ـ على وزير الحرب .

ـ أو على الاقل نصر على ان تستخدم على تجمعات القوات أو المنشآت الحربية ؟.

وهنا قال ستيفن غاضبا :

ـ سوف نصر على الا تستخدم بالمرة .

وفى واشنطن تحدث اليهم جنرال مشهور وقال :

ـ انكم جميعا من المدنيين ولن اقنعكم بشىء ففى الربيع الماضى كنت اعارض استخدام القنبلة أما الآن فقد تغيرت نظرتى واننى لا اعتقد حسب ما شاهدته فى الشهور الأخيرة أن اليابانيين سوف يستسلمون نتيجة للهجمات الجوية التقليدية والعمليات البحرية العادية . ولذلك ارى ان الطريق الوحيد لانقاذ الأرواح الامريكية وارواح اليابانيين كذلك هى أن ننهى الحرب بسرعة .

ومضى يقول :

ـ اننا اذا اسقطنا هذه القنبلة على مدينة فان يقتل اكثر من عشرين الفا ويمكن شفاء معظمهم .

وصمت الجميع برهة ثم بدا الجنرال العجوز يقول :

ـ اننا يجب ان نستخدم القنبلة ونستخدمها بسرعة .

وقال زيجنى :

ـ هذه جريمة دولية هل يمكن ان تقرلى ما كتبته .

كان يتحدث الى جين فى بيتها فى صبيحة يوم احد وكان قد تحدث من قبل فى كل مكان فى شيكاغو وفى نيويورك وفى « تينيسى » وفى « واشنطن » وبينما كان يتحدث اليها وضع امامها ورقة كتب فيها نداء الى الانسانية واخذت جين تقرأ فى صمت :

« ان البلد التى تضع سابقة باستخدام هـذه القوى الجديدة لأغراض الدمار يجب ان تتحمل مسئولية فتح الباب على عهد من الدمار على نطاق لا يمكن تصوره .. »

وظلت تقرأ حتى نهاية النداء واخذت تقرأ قائمة الاسماء التى وقعت عليه وكانوا جميعا من ابرز العلماء ولكنها لم تر اسم ستيفن وتساءلت :

ـ اننى لا ارى اسم ستيفن كوست .

فتاوه زيجنى وشد شعره المجعد الطويل وقال :

ـ لقد ذهبت اليه كثيرا وهو يقول انه لا يستطيع أن يوقع على هذا النداء حتى يفكر فى بديل لذلك وسألته هل هنـــاك بديل للموت ولم يجب على .

ولم تجب جين وجلس زيجنى يراقبها فى لهفة ماذا ستفعل ؟ طالبة شابة وامراة ربما لا يكون توقيعها هاما ، ولكنها موضع احترام أكبير وقال لها :

ـ لن اضغط عليك لتوقعى ، اتركى الأمر لضميرك وقلبك .

فقالت جين فى ثبات :

ـ سوف أوقع .

وامسكت بالقلم الذى قدمه لها وكتبت اسمها ونهض وهو يقول لها :

ـ شكرا ، ارجوك أن تتكلمى فى كل مكان عن هذا الأمر .

فوعدته بذلك وذهبت تبحث عن ستيفن وقال لها :

ـ ادخلى انى آسف لأنك انتظرت فـترة طويلة انى على اتصالات مستمرة منذ أن عدت من واشنطن منذ ثمانية أيام .

وجلست فى صمت فى الكرسى المواجه له واخذ يحملق فيها وقال :

ـ جين السنت مريضة ؟»
فأجابته بالنفي فقال :
ـ انك شاحبة جداً ».
فقالت له :
ـ انني اشعر بالغربة واحس كأنني غريبة هنـــا وانت غريب مني .
فقال لها :
ـ أعرف ذلك ، اننا في فترة غريبة ننتظر أشياء كثيرة ».
فقالت بهدوء :
ـ انا لم انتظر ولـــكني أريد ان أقول لك انني وقعت على الاحتجاج الذي كتبه زيجني .
فرفع اليها حاجبيه السوداوين وقال :
ـ اني آسف اذ فعلت ذلك ».
فقـــالت :
ـ انت آسف ؟ لم اكن اتصور ان أسمعك وانت تقـــول انك آسف لانني احتججت على القاء القنبلة .
ـ ان ما اعنيه هو لماذا لم تتحدثي معي في هـــذا الموضوع ؟ ان هذا ما اعمل فيه الآن فانا احصل على جميع الآراء من كل مكان ومن كل العلماء وقد اقترع خمسة وثمانون في المائة على استخدامها وبدون تحذير .
ـ ولكن ماذا تقول الدول الاخرى عنا ؟
ـ لقد استطلعت الآراء في كندا وبريطانيا وفرنسا والغالبيتهـــا تؤيد استخدامها على الفور والرياسة في واشنطن توافق على ذلك بالاجماع .
فقالت وعيناها تحترقان كنجمتين سوداوين :

ـ اذن فانا سعيدة لانى وقعت على الاحتجاج ؟ سعيدة الف مرة ، فهل كان يمكن ان اجادل على الموت بعد أن شاهدت فيلدمان يموت .

وهمست وهى تقول :

ـ الم تحتج يا ستيفن ؟.

فتنهد وهو يقول :

ـ اننى لا اشترك فى هذا فالأغلبية تقرر ذلك .

فصرخت :

ـ اين انت ، كنت اعتقد انك انسان ، هل تترك الآخرين يقررون ذلك ؟

فنظر اليها بعينين مجهدتين تحيط بهما ظلال سوداء :

ـ لقد اتخذت قرارى .

فقالت فى ازدراء :

ـ لقد قررت الا تقرر حتى لا تكون مسئولا ، انك لا تريد ان تكون مسئولا ولكننى اريد ان اكون مسئولة عن النضال بكل قوتى وعقلى ضد هذا الشيء الذى سمعناه ، لكم وددت ان اقطع يدى اليمنى قبل أن اساعد فى صنعه لو كنت تصورت اننا سوف نستخدمه ، ماذا يقول عنا بقية العالم اذا استخدمنا هذه القنبلة ، نحن امريكيون ، انهم لن يغفروا لنا ابدا ، لقد احبنى الأطفال فى الهند لأننى امريكية ، وعندما كنت فتاة كانت رفيقاتى فى المدرسة يحببننى لان بلادى كانت فى يوم من الأيام مستعمرة وقد ناضلنا من اجل أن نتحرر ، اننا لو اسقطنا القنبلة يا ستيفن سوف نقضى على انفسنا فى كل مكان بالعالم ولن يثق بنا الناس بعد ذلك .

ثم حول الحديث الى ما عرضه عليها وقال :

ـ اننى احبك يا جين .

فقالت :

ـ انك لم تحبنى ابدا .

وتحولت عنه وغادرت المكان وتركته وحيدا . وعندما تركته مضى فى عمله الذى يجب ان يتم بسرعة . فى ذلك الصباح جاءه مساعد الجنرال وقال له انهم في واشنطون يريدون انيعرفوا راى الناس فقال له :

ــ سوف اكتب لهم بذلك .

وبينما كان مساعد الجنرال ينتظر كتب ستيفن التقرير وسلمه له وبعد فترة قليلة عاد مساعد الجنرال ليقول له :

ــ انهم في واشنطن يريدون ان يعرفوا رأيك ..

فقال ستيفن في اعياء :

ــ رأيى ، انني افكر في ذلك منذ اربع سنوات ، فقد كان والدى رجل دين ولم يكن يؤمن بالحرب .

فسأله الكولونيل مساعد الجنرال :

ــ هل توافق لا .

فقال وهو يتردد :

ــ نعم .

واخذ القلم وكتب :

ــ انني مع الاغلبية .

ثم اضاف :

ــ بالرغم من انني آسف لضرورة استخدامها وارجو الا تستخدم اكثر من مرة واحدة .

ثم وقع باسمه .

ومرة اخرى جلس وحيدا . وفى فزع امسك بالتليفون وطلب جين واخذ جرس التليفون يدق ولم يجب احد اذن ، اين ذهبت وماذا يفعل ليحل هذه المشكلة وكيف يستطيع كل العلماء ان يلغوا ما فعله هؤلاء العلماء والعسكريون ورجال السياسة الذين اصروا على صنع القنبلة وقرروا استخدامها . انه يجب ان يذهب الى واشنطن دون تأخير .

وبعد ساعة كان يلقى باشــياء فى حقيبتــه ، ويندفع ليحلق بالطائرة رغم كل الأوامر وذلك لان القطار سوف يكون بطيئا جدا ونادته هيلين من المطبخ حيث كانت تعـد له بعض الساندوتشات ليأخذها معه ويأكلها حينما يريد .

ــ ستيف .. ان دكتــور زيجنى هنــا .. انه يقول انه جاء ليراك .

ــ قولى له يصعد ..

وفى لحظة كان زيجنى هنــاك وشعره يتطاير حول رأسه ، وقال :

ــ لقد لحقت بك فى الوقت المناسب . انك ذاهب الى واشنطن استمع لى .. ان هناك شيئا يجب أن تعرفه اولا .. اننى قادم لتوى من واشنطن . ولقد اطلعت على صور للمدن اليابانية ــ صور التقطتها الطائرات الاستطلاعية .. وليس يهم أن تعرف كيف رأيتها ان الدمار جحيم هناك : لقد قامت طائراتنا ب ٢٩ بحملات دمار تشبه نيران الجحيم . وتكاد بحرية اليابان أن تكون قد تحطمت ، فلم تعد هناك سفن لكى تستخدم . فالحصار من البر والبحر .. يجب أن تستسلم . وسوف يطالب الشعب هناك بذلك . والحكام لا يستطيعون ان يسكتوهم . لذلك فليس هناك ضرورة لان تقوم أمريكا بالغزو . ويجب الا نستخدم القنبلة . قل هذا للرئيس ، وقل له ان الوقت قد تأخر جدا . ان اليابان ســوف تستسلم ، اننى اقسم بذلك . فاليابان فى حالة خضوع الآن . انهم شعب معتز بنفسه جدا .. ولكن يجب الا نذلهم ، ويجب أن نغفر قليلا ؟ لنامرهم بالاستسلام فقط . فان هذا يبقى لهم بعض الكرامة .. انه لابد من استخدام القنبلة لانهاء الحرب ؟ .. لا .. لا .

وكان يستعطف فى جد ورغبــة أكيدة ، وتصبب العرق من جبهته وقال :

ــ ستيفن « سوف أحاول .. سوف أحاول » .

قال وزير الحرب :

ـ ان الرئيس يعرف كل ذلك .. وهو يبدو عليه التعب الشديد والحزن . كما انه فقد الكثير من وزنه . وقد وعد زوجته بانه ما ان تنتهى الحرب حتى يذهب الى المستشفى ليرى سبب الالم الذى يحس به فى جانب الايمن ، وسالته زوجته :

ـ الى متى ستظل هذه الحرب ؟

واجابها :

ـ بضعة ايام اخرى يا سارة .

فتعجب ستيفن وقال :

ـ اذن فهو يعرف ، وما يزال يصدر اوامره باسقاط القنبلة ..

فتنهد الرجل العجوز وقال .. هذه هى الاوامر الآن . اننا لا نستطيع ان نتراجع . ولكن نستطيع فقط ان نخفف من الأمر » .

ـ نخفف من الامر ! كيف نخفف من هذا الحريق الهائل ؟

ـ سوف نحذرهم .. والرئيس يحبذ تحذيرهم .. وقد اضطررت لان اقول له ذلك .. فالاستسلام سوف يجعل الفرق شيئا غير ضرورى .. والقنبلة ايضا .

هل يطالب باستسلام غير مشروط ؟

ـ نعم .. وان يتقبل شيئا غير ذلك .. ولا يعتقد ان الشعب الامريكى سوف يقبل شيئا غير ذلك . والحق ان لدينا معلومات من اليابان بانهم لن يقبلوا الاستسلام غير المشروط .

ـ اذن فنحن نصر على القاء القنبلة ؟

ـ نعم .. ولكن احب ان اقول ان الشروط التى نقترحها مشرفة .. فسوف يحتفظون بسيادتهم .

ـ واذا لم يقبلوا ذلك فما هو البديل ؟

فقال وزير الحرب :

ـ الدمار الشامل .

وسقط صمت الدمار بينهما ، وقال ستيفن بعد برهة :

ـ اذن يجب أن نحذرهم .. ونحذرهم مرات كثيرة ».

ـ نعم .. سوف تقوم طائراتنا بالقاء بعض القنابل كتمهيد .. وبعد ذلك نعرض الاستسلام .

ـ ان الناس يجب أن تعرف .. فيمكننا ان نسقط ملايين المنشورات .

ـ ليس هناك وقت .

ـ يجب أن يكون هناك وقت .. سوف اقوم بذلك بنفسى ..

ونظر وزير الحرب الى ستيفن وقال :

ـ سوف أقدم المال اللازم .

ـ اشكرك .. والآن ارجوك أن تغفر لى خروجى بسرعة ..

ـ اندفع .. اسرع .. افعل ما تستطيع .. ودعنى اعرف كيف يمكن أن أساعدك .

وقال ستيفن مرة اخرى :

ـ شكرا ... شكرا ..

وفى السادس والعشرين من شهر يولية ، اذيع طلب الاستسلام ونشر فى الصحف أيضا . وانتظر ستيفن الرد من مكتب وزير الحرب .. وجاء الرد رسميا وقائلا « ان الحكومة اليابانية لا تستطيع أن تتسلم هذا العرض المشين » . وأمر وزير الحرب بالقاء المنشورات . وفى اليوم التالى سقطت المنشورات على مدن اليابان .. وقال ستيفن :

ـ هل يستطيعون القراءة .. فماذا يحدث لو أن الناس لا تستطيع القراءة ؟ ».

فقال وزير الحرب :

ـ انهم يستطيعون القراءة .. فاليابان تتمتع بأكبر نسبة من التعليم فى العالم ».

وكانت المنشورات تحذر بالقاء القنابل التقليدية أولا ..

وفى اليوم الثامن والعشرين دكت ست مدن بالقنابل ..

ومع ذلك لم يصل الى واشنطن اية كلمة .. وكان ستيفن يوما بعد يوم ، يعد الساعات ..

وفى الخامس من اغسطس ، لم يكن هناك اى رد .. فأمر وزير الحرب بتوجيه تحذيرات خاصة ، والقاء ملايين اخرى من المنشورات .

ومر اليوم ولم يأت اى رد . وفى منتصف الليل نظر الرجل العجوز المتعب الى العالم الشاب . فلم يكن اى منهما قد غادر الحجرة طيلة ثمان واربعين ساعة . وقال فى هدوء :

ـ ستيفن .. لقد فعلنا كل ما نستطيع .. عد الى معملك ..

وفوق المدن اليابانية حلقت الطائرة مثل فراشة متفتحة .. كانت صبيحة يوم من ايام منتصف الصيف ، وكان يوم العمل قد بدأ لتوه ، والرجال يسيرون الى مكاتبهم ، والنسوة يركبن « الروكشا » الى السوق ، والأطفال يستعدون للمسير الى فصولهم ، وسمع هؤلاء جميعا صوت أجنحة فوقهم .. ورفعوا رءوسهم ورأوا الطائرة فى الجو .. طائرة واحدة .. واطمأنت نفوسهم .. فماذا يمكن أن تحدثه من خسائر ؟ . ان طائرات العدو تأتى بالمئات لتقوم بعملها .. وهذه طائرة واحدة .. وربما تكون طائرة استطلاع ؟ . وابتسم كل منهم للآخر فى ارتياح . وذهب كل منهم فى طريقه .

ودون أن يلاحظ احد ، سقط من الطائرة شىء فضى ، وهبط الى أسفل شىء صغير فى الجو مثل اللعبة ، نقطة تلمع ، قطعة من الشمس .. وكانت فى الحقيقة قطعة من الشمس ، كتلة كبيرة جدا من النار ، ذات حرارة فى داخلها تصل الى مائة مليون درجة فهرنهيتية ، مضغوطة كى صندوق معدنى صغير . وفجأة انفجر هذا الصندوق . وانزاح الهواء من حولها بفعل الضغط الهائل ، ومن هذا الانفجار العنيف هبت رياح بسرعة مئات الأميال فى

الساعة ، بل بسرعة الف ميل فى موجات كبيرة . والنار التفجيرى العنيف القوى اللهيب فى كل مكان يصل اليه من خشب وقماش ، واسطح من الطين ، واعمال الفن الكبيرة ، والأجساد البشرية والدم والعظام والمخ .. وبعد ذلك جاء دور الاشعاعات التى لا ترى .. فمن بين سكان المدينة وعددهم ثلاثمائة الف نسمة مات الثلث فى الحال ، واحترق معظم الباقين ، أو أصيبوا بالشلل والندوب التى تتأجج نيرانا فى لحمهم .

ووجه احد الصحفيين الى الطيار الأمريكى الشاب الذى القى القنبلة هذا السؤال :

ـ كيف كان شعورك وانت تلقى القنبلة ؟ .

فاشعل سيجارة .

كان يوما صافيا ، والسماء بلا سحب ، واشراقة الشمس رائعة ، وكانت السفن على الشاطىء تنتظر ان تحمل القوات ، خمسين الفا منهم ، الى المعارك فى الأدغال . وفى الساعة الثامنة والربع ، لمس الزر ، واخرج من القنبلة ، هذا الصندوق الذى يحتوى على الموت والدمار . وبعد ذلك اسرع هو والطيار الى طوكيو . وانفجرت النيران والدخان فى المدينة . وتحت النيران والدخان والتراب اختفت المدينة .

ولكن فى المدينة الميتة ، كان هناك رجل حى يزحف خارج زنزانة . ووقف لمدة ثانية واحدة ، ثم حملق فيما حوله . انه فى صحراء ، صحراء داكنة من الموت والدمار . واطلق صرخة عنيفة ، وصيحة يأس ، ورفع رأسه الى السماء وصرخ :

ـ ان هذا فوق ما يتحمله البشر ..

وسقط على الأرض صمت رهيب .. وكان اعمقه فى تلك المدينة التى انشئت واسست لتنتج القنبلة . والآن انتهى عملها . وقد اعلنت صحف الصباح ، والمذيعون فى الراديو ، واسلاك

التلغراف والأسلاك تحت المحيطات ، كلّ هذه قد أعلنت ان المهمة قد تحققت . ودمرت مدينة لم أخرى ، وانتشر الصمت الكبير فى كلّ مكان من العالم .

وفى هذا الصباح .. وفى صمت .. وبناء على مصادفة غريبة من مصادفات الحياة ، تلقت جين رسالة ظلت تنتظرها فى مكتبها . وكانت قد ذهبت الى المعمل هذا الصباح لأنه لم يكن هناك شيء آخر تفعله ، وفى هذا الصمت لم تتحدث الى أحد ، ولم يقترب أحد منها . وقد غادر ستيفن المكان منذ يومين دون أن يبلغها الى أين سيذهب . وخمنت انه لم يستطع أن يتحمل أن يوجد فى هذا المكان بعد أن اسقطت القنبلة ، وقد ذهبت هيلين معه . وهى لا تشعر بأية غيرة .. ولم تشعر بشيء .. واستقر الصمت فى نفسها أيضا .. لقد انتهى شيء ما ..

وفى هذه اللحظة بين النهاية والبداية ، يظهر خطاب .. لقد ظل بينها وبين « رامان » الاتصال الحدسى الذى تقبلاه على انه علاقتهما التامة . وقد مضى عام كامل منذ أن كتب اليها . بل انه لم يرد على خطابها الأخير الذى كتبته فى نوبة ألم من العزلة بعد أن اعترف بحبه لها وقراره بالا يسمح لها أن تعود الى الهند أو اليه .. لقد كتب اليها منذ عام يقول : « لقد تخليت عن دمى الانجليزى واخترت الهند . واختيار الهند معناه أن أعيش الحياة الهندية . اننا لا نطلق زوجاتنا نحن الهندوس . ولاكشمى بريئة . وهى زوجة طيبة . فهل أتخلى عنها واطلقها لأننى احبك ؟ . وهل أنا خليق بذلك ؟ » .

كان خطابا قاسيا كتب برقة . وقد أجابت عليه بالحب والغضب . والآن ، وبعد عام ، عادت العاطفة القديمة التى كانت بينهما منذ أن كانت تلميذة ، وهو استاذها ، بعد أن رأت خطه ومن بين أيام حياتها جميعا كان ذلك هو اليوم التى شعرت انها فى حاجة ماسة لأن تستمع اليه .. وتكلم هو ..

وذهبت الى عملها ، واغلقت الباب . ولدقائق جلست وفي يدها الخطاب لم يفتح بعد واخيرا فتحته ، وفي الصمت الذي انطبق على العالم بدأت تقرأ ..

« طفلتي الحبيبة ..

سوف تتصورين ان هذا خطاب غريب تتسلمينه هذا اليوم .. انني اكتبه اليك لأنك الأمريكي الوحيد الذي اعرفه . فهل لك صوت ؟ بما انك عالمة فلا بد انك على اتصال بالعلماء الآخرين ، وربما تستطيعين ان تستعيري اصواتهم .. والحقائق التي لدي تقول بأن العلماء الامريكيين يعدون لسلاح جديد . وقد تسالينني كيف عرفت ذلك .. انني اعرف لأن هناك طالبين روسيين في الفصول التي ادرس لها وقد بعثا الى بلدك من موسكو ، ولست اعرف لأي سبب . ان هنا في الهند اكثر من قليل من الطلبة الروس وهم ليسوا شبابا عاديين . فهم يعرفون اشياء كثيرة لا يعرفها الطلبة العاديون . فمثلا يعرفون معلومات عن هذا السلاح الجديد . فكيف حصلوا عليها ؟ . لابد انهم حصلوا عليها من الجواسيس . ولكن اية جواسيس ؟ . انه ليس من اهتمامي ان اعرف هذه الأشياء .. ان ما اهتم به هو انك كنت تصنعين سلاحا جديدا .. ولكن كيف تستطيعين يا طفلتي الصغيرة أن تصنعي سلاحا ؟ . فانني اعرفك رقيقة وذكية وحكيمة وجميلة كذلك . ومع ذلك فانت تعملين بين الرجال . واذا كان هناك سلاح جديد ، فارجوك الا يستخدم .. فسوف يكون سلاحا ضدكم وضد بلادكم .. ولن يغتفر لكم هذا السلاح الجديد . وانا أعرف شيئا عن هذا السلاح . لقد اخبرني تلاميذي . وقد ابلغوا بعض الناس ذوي الاهمية ، ذلك لأنهم يعرفون انه بعد أن تنتهي الحرب ، سوف تستقل الهند ، وهم يأملون أن تتبع روسيا .

طفلتي ..

ان قوة هذه الروسيا الجديدة هي انها تعرف ما تريد .. انها تريد ان تغير نمط الحياة في كل بلد ، وفي العالم كله . لذلك

يجب أن تعملوا ايضـا فى بلادكم .. اولا .. يجب الا تسـمحوا باستخدام السلاح .. فسوف يقـال الكم احجمتم عن استخدامه بينما كانت المانيا فى الحرب ، وتركموه لتضربوا به اليابان . ولكن اذا استخدم ، ولم تستطيعى منع ذلك ، فحينئذ ناشدى حكومتك أن تبقى قواتكم في اوربا . لا تنسحبوا بسرعة . وتتركوا اماكن خالية تحتلها الجيوش الروسية . كذلك اقول لكم ان روسـيا سوف تنضم مع الصين ، اولا مع شيانج كاى شيك وبعد ذلك مع ماوتسى تونج . هل تعنى هـذه الاشـياء شـيئا بالنسـبة اليك يا طفلتى ؟ . ان لم تكن تعنى شيئا فادرسى كل ما يقال وما كتب منها فى الحال . ان عصرا جديدا يبدأ . وهو عصر جديد رهيب من اللحظة التى تستخدم فيها الأسلحة ، اذا اسـتخدمت .. سيكون كل شىء قديما .. طفلتى .. عودى الى الهند .. فهنا ستكونين فى أمان » .

ونسيت على الفور كل تحذيراته ، ولم تر الا الدعوة بالعودة الى الهند ، وهناك ستكون فى مأمن . وطافت بمخيلتها مراعى طفولتها وصباها ، ووديان وسهول « الموراً » خضراء ومثمرة والجبال المتوجة بالثلوج والناس الذين يحبون ويتعاطفون . وتاقت لان تكون هناك آمنة كما قال راماى ، وبالقرب منه أن لم يكن معه . يا للاسف . انها لم تعد طفلة . فكيف تهرب مما وصلت اليه ؟. فهى امرأة هنا أو فى الهند . وتركت الخطاب يسقط من يديها واحنت رأسـها على ذراعيها المطويتين على منضدة المعمل واخذت تبكى .

وبعد قليل كانت تدق جرس منزل سـتيفن كوست . وكانت زوجته وحدها بالداخل بعد أن تركها اثر مشاجرة او نقاش اشتد وتوتر حول ما سوف يفعله ستيفن بعد ذلك . وفتحت الباب لترى جين فقالت :

ـ لقد خرج ستيفن لتوه .

فقالت جين :

ـ لم آت لأراه .. لقد جئت لأراك .

ـ اذن ادخلي .

وقالت جين :

ـ لا ادري كيف ابدا .. وربما لا اعرف لم اتيت الى هنا .. انني اريد ان ارى امراة اخرى واتحدث الى امراة .. وفكرت اليك . فانا اعرف قليلا من النساء .. لقد جعلني عملي اعتزل الناس .

ـ انني احسدك .

ـ هل تعتقدين انني استحق هذا الحسد ؟

فقالت هيلين وهي في حالة عصبية :

ـ لقد عشت وسط الرجال ونحن في المشروع .. وقد قالوا لك كل شيء . اليس كذلك ؟ ولقد عرفت اسرارهم .. نعم . انني اغار منك .. انني اغار من حياتك .

واستمعت جين الى هذه الثورة باهتمام مؤلم وقالت :

ـ لم اسمع امراة تتحدث حقا من قبل . انني اعرف ما تعنين .. انني لم اعش حياتك ولكنني اعرف .. وانا حسدتك ايضا كنت اريد ان اتزوج ويكون لي اطفال .

ـ لقد كنت اريد الاطفال ايضا ، وفجاة خشيت ان آتي بهم .. فهل آتي بهم هنا وانا لا اعرف ما سيواجههم ؟ هل تريدين اطفالا ؟

ـ انني احلم بهم .. ولكنهم ليسوا اكثر من حلم . فلم احب اي رجل الحب الكافي حتى اتخلى عن عملي .

وكانت رقة جين سببا لأن تتشجع هيلين وتقول :

ـ لو اعتقد ان ستيفن سيكون سعيدا مع .. معك ـ لقبلت ذلك ـ وربما لا يكون ذلك مرة واحدة .. ولكن على مهل ..

ـ انه حياتك كلها .. اليس كذلك ؟

ـ اعتقد ذلك .. فانا لا اعرف تماما .

فقالت جين في هدوء !
- ولكنه ليس حياتي كلها - انني أرى حياتي كلها مع رجل ولكنها ستكون حياة لصنعها معا ، مادام احدهمــــا رجل وآخر امرأة .. وسوف نجعل الحياة كاملة .. حياة البعد الرابع .
- انني لا افهم البعد الرابع .. ولذلك لا استطيع ان اعيشه.
ثم تقابلت عيونهما ، وصافحتها جين وهي تقول :
- انني ذاهبة الى الهند .

ونعود الى بيرتون هول ، لقد استطاع ان يقف على قدميه مرة اخرى ولكنه يستعين بعصا وهو يسير .. وكان قلقـــا .. يعي الجو الذي تغلف فيه زوجته نفسها والذي لا يدركه تماما . ولم يحدثها عن القنبلة لانه حقيقة لا يعرف اليوم او الساعة او المكان الذي اسقطت فيه . ولم يكن يريد أن يعرف . فلم يكن هذا من شأنه . ولذلك فان أول شيء عرفه هو عندما راى ذلك في الصحف امس .. هيروشيما .. نجازاكي .. وانتهت الحرب .

وقال لزوجته :
- على اية حال .. لقد انتهت الحرب .

ولم تقل شيئا ، بالرغم من انها بطبيعتها ثرثارة ... واخــذ يتناول فطوره في صمت وهو يختلس اليها بين الحين والحــين بعض النظرات . ثم لم يطق صبرا فسألها :
- هل انت مريضة ؟
فقالت :
- انني مريضة .. حتى انني اذا خرجت من هذا المنزل فانني لن اعود .
واخذت تمسح عينيها ، فرجع بكرسيه الى الوراء وقال :
- قولي ما في نفسك .. افرغي ما عندك ؟ .

ولم تقل كل شيء .. ولم تفرغ ما عندها .. ولكنها اخذت تبكي .. حتى انها كانت تبتلع بصعوبة . ثم انفجرت :

ـ انه شيء قذر تفعلونه .. كان يجب الا تفعلوا ذلك .. ماذا يحدث الآن ؟ انني لا اثق بك .

ـ انصتي .. كان يمكن ان يموت مجموعة من الشباب الامريكي .. تذكري ولديك .. اتريدين أن يكونا من الضحايا اتريدين أن يموتا في الادغال ؟.

ـ لقد قتلنا مائة الف مرة واحدة .. فالصحف تقول ذلك .

ـ حينئذ كنت تريدين ولديك ..

ـ لا اريد احدا .. وددت لو لم يكن لي أولاد .. انه ليس من الصواب ان ناتي بأولاد في عالم كهذا .

وصاح كل منهما في الآخر .. وأخذت مولي تولول .. وحاول أن يسكتها ولكنها لم تسكت .. لم تعد هدهداته تؤثر فيها كما كان يحدث من قبل .. ثم قالت من بين الدموع :

ـ لقد استخدمتم القنبلة لانها شيء صنعتموه ، ولم تستطيعوا أن تتحملوا الا تستخدموها .. لذلك تعتبرون انفسكم على صواب وفي الحقيقة لستم على صواب .. أود ان اعرف راى جين في هذا .. كما اريد أن اتحدث اليها .

ـ لن تستطيعي .. فقد استقالت .. وسوف تسافر الى الهند .

وفي الهند استيقظ « رامان » مبكرا كعادته .. وهو الآن يرش معمله ومنزله بمياه نهر « الجانج » المقدس .. كان الصباح باردا ومشمسا .. والبيت هادئا فقد كبر اولاده .. وكان فخورا بأولاده .. وفي ليلة أمس كان يجلس الى جين .. ويوجه اليها الكثير من الأسئلة .. وعندما افترقا بالأمس لم يتصافحا .. ولكن كلا منهما ادى لصاحبه تحية الاحترام على عادة اهل الهند ومع ذلك لم ينم .. فقد استيقظت الحقيقة في نفسه وهي انه لم يحب اى امراة كما احب جين ، وهو لا ينكر ذلك او يجادل فيه .. فقد تعلم أن يعيش مع الحقيقة ، وكان بعد ذلك يرى جين

كثيرا .. واستطاع ان يقنعها بان تعود الى بلادها.. والى مراكز العلم هناك .. وكانت ترجوه أن تبقى عاما او عامين ولكنه كان يلح عليها بالعودة فهى لم تعد الطفلة الصغيرة .. واخيرا وافقت على رأيه وقالت :

ـ يجب ان اطيعك .. ولكنك ستبعث الى بالخطابات .

فقال :

ـ الى ان نموت .

خرج ياسوا ماتسوجى من المعسكر .. وأصبح حرا مرة اخرى .. وسافر الى شيكاغو ، حيث قرر ان يؤجر شقة صغيرة ويبدأ الرسم .. وحيث يجد صديقه بيرتون هول .

وفى صبيحة يوم من أيام اكتوبر وجد «بيرتون هول» «ياسوا» على عتبة الباب .

ـ تعال .. تعال ..

وجر الرجل اليابانى النحيف الى داخل المنزل وأغلق الباب وبعد ان جلس «ياسوا» سأله بيرتون :

ـ سوف تبدأ الرسم حالا بالطبع ؟

ـ لا اعرف ماذا افعل اولا .. احيانا اريد ان اعود الى اليابان بعض الوقت .. فانى اريد أن ارى كيف حال اليابان الآن .. وفى بعض الاحيان اريد ان انغمس فى الرسم ..

فقال بيرتون هول :

ـ اتمنى الا تذهب .

ـ لم لا اذهب ؟

ـ لا اريد ان يتحطم قلبك ..

ـ اذن لنذهب معا ..

ـ اننى لم افكر فى الذهاب الى هناك . وقد تكون على حق ـ ولست ادرى ماذا يقول ستيفن فى ذلك . وربما يريد ان يأتى ـ

وذهب الى التليفون وطلب ستيفن .. ولم يجده .. وبعد خمس عشرة دقيقة سمع صوت ستيفن الذى اعتذر من الذهاب لانشغاله بعمله الجديد فى شركة « كانادى فاريل » فقال بيرتون هول :

ـ سنذهب انا وانت معا .. انتظر حتى ابلغ مولى بذلك ..
ووافقت مولى قائلة :

ـ اعتقد انك يجب ان تذهب فيجب أن ترى ما فعلتموه .. ولا يجب أن تتهربوا من النتائج .. واننى لسعيدة اذ أن ياسوا سوف يذهب معك يجب أن تجعله يرتدى « سويتر » تحت معطفه يا « ياسوا » .. فهو يبرد بسهولة الآن وينسى كل شيء عندما يكون مهتما .

واقلتهما الطائرة الى اليابان .. وبعد مؤتمر صحفى دارت فيه مناقشات طويلة واسئلة موجهة الى بيرتون هول ذهب هو وياسوا الى الجبل الذى يطل على نجازاكى . واخذا ينظران الى الاطلال التى كانت فى يوم من الايام منزل «ياسوا» أو مدينته . وبكى عندما وصلا الى حصباء ورماد ماكان فى يوم من الايام منزل « ياسوا » أو مدينته .. وبكى عندما وصلا الى حصباء ورماد ما كان فى يوم من الايام منزل صباه .. وبكى بيرتون هول ايضا فهو يرفض ان يصدق انه كان يمكن ان يكون هناك بديل ذلك . ووقف الرجلان اكل منهما فى حالة تعب على جزء صخرى من المنحدر المغطى بأشجار الصنوبر .. كانا فى هيروشيما .. وعرفا كل ما يمكن أن يعرف .. ورأيا الناس الذين كتبت عنهم الصحف الريبورتاجات والتقارير . وقال بيرتون هول :

ـ هل تعتقد ان هذا سوف ينسى فى يوم من الايام ؟..
ـ لا اعتقد .. كيف نستطيع أن ننسى .. أو انسى أنا ؟. اننا نتذكر .. ولكننا لا نفكر ان علينا أن نعمل .. انا ارسم وانت تعلم ..

ولا فائدة من البقاء هنا آلنا لا نستطيع ان نبقى . لقد تقدمت بنا السن .. ان علينا أن نقوم بعملنا .. ولا يهم أى شىء اكثر من ذلك ؟ .

ـ اعتقد انك على حق ..

وانتهت رحلتهما وعادا الى أمريكا . واخذ بيرتون يحلم بفصل جريح .. ووجوه شابة تنظر اليه لتتعلم وتسمع ، وشمس الصباح تشرق عبر النوافذ .

أما ستيفن فقد عمل ـ كما قلنا ـ فى شركة كانادى فاريل فى وظيفة محترمة تدر عليه الكثير من المال ، وتتيح له حرية البحث أكثر مما كان يتوقع . ولم يكن يفكر فى ان ما يقوم به الآن له علاقة بما حدث . وكان يسمع عن جين من حين الى آخر . كانت تعمل فى علم الأحياء . وقد كتب لها أن هذا العلم هو العلم الذى سيكون له شان كبير . فتحسين الحياة ، وخلق حياة جديدة ، هما المجال القادم للعمل . لقد مضوا شوطا كبيرا فى الطبيعيات .. وعلى الرجال الذين يريدون السفر الى الفضاء ، ورجال الجيش هؤلاء جميعا أن يحققوا النظريات الآن التى تتعلق بصنع الصواريخ .. وقد سمع وهو فى واشنطن الشباب من العلماء يتحدثون بلغة جديدة خاصة بهم .. وقد قال الرئيس ان الله يعرف ماذا سيقولون عندما يعودون من الفضاء . ان السفر الى الفضاء هو الحدث التالى .. وسوف تشغلنا عن التفكير فى الحروب .. اقول هذا بمناسبة التفجير الكبير الذى فجرتموه فى الصحراء .. لقد دفع بنا الف عام الى الإمام .

وقال ستيفن :

ـ لست ادرى هل يستحق كل هذا .

وعاد الى شيكاغو وتحدث الى بيرتون هول عما رآى .. وكان بتوه قد عاد من اليابان . ولكنه لم يتحدث كثيرا عما رآه هناك .

وقال :

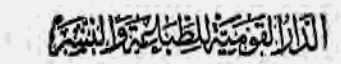
— ليس هناك فائدة من الكلام .. لقد اصبحنا « من القديم » يا ستيف .. لقد عملنا أربع سنوات فى المشروع .. ونجحنا .. وقد صنعنا القنبلة وانتهت الحرب .. وهؤلاء العلماء الشباب الجدد لا يفكرون فينا ، ولا يفكرون فى القنبلة ! . لقد اكتشفنا النار المقدسة لهؤلاء ، واستولوا عليها منا .. انهم يركبون الى الفضاء على اجنحة القوة ..

ثم هرش راسه وقال :

— ان هذا يجعلنى افكر فى ابى .. وانى اتذكر ترتيلا كان يردده من سفر أيوب حيث سأله الله « هلا أمرت الصبح » .. والى اعتقد ان هؤلاء الشباب عندما يذهب اول واحد منهم الى .. والى اعتقد ان هؤلاء الشباب عندما يذهب اول واحد منهم الى الفضاء ، ويتجه الى القمر عن طريق الطاقة التى اكتشفتها انا وانت والعلماء الآخرون ، فسوف يعود الينا هنا على هذه الأرض الصغيرة ..

ويقول :

— نعم أيها الانسان .. النى امر الصبح ..


الدار القومية للطباعة والنشر

الثقافة والإرشاد القومى

الدار القومية للطباعة والنشر

مركز الإشعاع الثقافى
فى العالم العربى
من القاهرة

مجلة الإذاعة والتليفزيون

مجلة بناء الوطن

مكتبات الدار

نيويورك

لندن

الجزائر

بيروت

طرابلس

بغداد

الخرطوم

الاسكندرية

القاهرة

يصدر عنها

روايات عالمية	الكتاب الماسى
مذاهب وشخصيات	من الشرق والغرب	كتب سياسية
كتب قومية	فى المسرح العالمى	[illegible]
اخترنا للجندى	اخترنا للطالب
دراسات اشتراكية	رسائل جامعية





